الفصل الثاني

الألوهية عند أبي بكر الرازي

تمهيـــــد

1 - الألوهية في الفكر اليوناني:

2 - معنى فكرة الألوهية في الفكر الإسلامي:

الله وصفاته، مشكلة الخلق والخالق، مشكلة العناية الإلهية والبعث.

3 - مصادر فكرة الألوهية عند أبي الرازي:

أ - وجود الله عند أبي بكر الرازي.

ب - الصفات الإلهية عند أبي بكر الرازي.

جـ - العناية الإلهية عند أبي بكر الرازي.

4 - آثار فكرة الألوهية عند أبي بكر الرازي:

أ - إنكار الرازي نظرية النبوة.

ب - نقد الرازي الاديان السماوية

جـ - نقد الرازي الكتب المقدسة

obeikandi.com

obeikandl.com

تمهيد:

تعتبر مشكلة الألوهية من أهم المشكلات الكبرى التي حازت اهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين العرب.

لأن هذه المشكلة موجودة بوجود الإنسان على الأرض لذلك فالفلسفة تعني عناية فائقة بالبحث في وجود الله وصفاته بوصفة العلة الأولى للوجود.

لذلك يمكن القول بأن فكرة الألوهية كانت مقترنة باللاهوت أو الثيولوجيا أو الدين وظهرت بظهور الديانات، خاص الأديان السماوية منشأة علم الكلام.

لذلك وجدنا الإنسان يحاول التعرف على نفسه وعلى خالقه وأن ينظر إلى الطبيعة وما فيها من نظام وتدبر يدل على وجود خالق مدبر كل شيء بحكمه واقتدار وهو مصدر الخير والكمال ومبعث الوجود والحركة الموجودة في الكون.

فالله هو أصل الموجودات كلها وعلة العلل وغاية الغايات كلها[1] لذلك نجد أن أغلب انظار الفلاسفة اتجهت إلى آيات القرآن الكريم وما فيه من آيات تدلنا على الاستدلال على وجود الله.

كل ذلك يؤدي بنا إلى النظر في الكون؛ ليصل الإنسان إلى الإيمان بوجود خالق دبر كل شيء بحكمه وإتقان وليس هذا الوجود بمحض الصدفة وعلى ذلك فالقول الفلسفي أياً كان عن الله ليس صائب تمامًا لأن المنهج التأملي يستند إلى تحديد التصورات وتركيبها مع بعض، والله ليس تصوراً فلا يوجد تصور يتناسب مع مقام الله ودرجته العالية كما ان الماهية الإلهية لا يمكن حصرها ضمن حدود التصورات أو التعريفات الإنسانية.

لذلك فكل فكرة تتكون عن الله لا يمكن إلا أن تكون ناقصة وأدنى من مستوى المعنى الإلهي.

مفهوم الألوهية عند اليونان:

قبل أن أتطرق إلى مفهوم الألوهية في الفكر الإسلامي يجب أن نتعرف على الألوهية ومفهومها في المجتمع اليوناني، ذلك المجتمع الذي نشأ فيه الفكر الفلسفي المتطور،

---

(1) إبراهيم مدكور: الفلسفة الإسلامية " منهج وتطبيقه دار المعارف القاهرة، 1976ص 201.

وعبر عن حقيقة ظروف المجتمع، وطبيعته التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، فالحياة في اليونان قد شكلت الوجدان الديني للمواطن الأغريقي، حيث كان هناك لكل مدينة الآله الخاص بها، والتي تقوم لعبادته، وممارسة الطقوس والشعائر المعتادة لها بشكل منظم لكل مواطني المدينة حتى بالنسبة للذين لا يميلون بطبعهم نحو التدين لأن هناك علاقة قوية بين ما هو ديني، وما هو اجتماعي بالنسبة للفرد اليوناني، فلقد تعلق الأغريق بمدينتهم وإندمجوا فيها حتى أصبحت معبودهم، وتمثلت هذه العبادة في خلق الوجدان الإغريقي لأله المدينة، فلقد تملك الإغريق نشوة عبادة التراث عبادة جماعية متمثلة في دولة المدينة(لخ).

لذا يجب على المواطن اليوناني ألا يشغل باله بالحرف اليدوية والأعمال الاقتصادية بل يجب عليه أن يتجه إلى الأمور السامية المتعلقة بالتأمل الفكري والفلسفي، والنظر في العالم وخلقه، ومبدأ الكون ونظمه.

ففكرة الألوهية عند اليونان قديمة، تمثل في نهاية الأمر الرغبة الكامنة في الإنسان إلى اللجوء إلى قوى خفية أطلق عليها أعظم الأسماء، وأنبل الصفات وأصبحت هذه الفكرة أحد الدعائم التي ينبغي الرجوع إليها عند تأسس أي نشاط إنساني مهما كان فكل جماعة إنسانية نعرفها تطور لغتها وتحدد علاقتها وقواعدها، وتوجه طقوس نحو قوى تعتقد انها تحكم العالم بأكمله(بر).

لذلك نجد اليونان قداتجهوا إلى الدين تحت تأثير رغبتهم في معرفة أسرار الكون، وفهم ما هو مستتر وغامض ووصلوا إلى حل يبعث الأمان في قلوبهم وهو الإيمان بألهة تسيطر على الطبيعة وعلى حظوظ الناس، وتشعر بما يراود البشر من عواطف ومماسة طقوس تمجد هذه الآلهة وتستعطفها(تر).

---

(1) د/ أحمد محمود صبحي: فلسفة الحضارة، ط الحضارة الإغريقية مؤسسة الثقافة الجديدة، بدون تاريخ الأسكندرية، ص 43.

(2) هـ.ب، ريكمان: منهج جديد للدراسات الإنسانية محاولة فلسفية ترجمة/ د علي عبد المعطي، د/ محمد علي محمد مكتبة مكاوي بيروت 979، ص 161

(3) د/ ثروت عكاشة: الإغريق بين الأسطورة والإبداع، دار المعارف القاهرة، 1978، ص18 وما بعدها.

فلقد كان الدين اليوناني دينًا وضعيًا، أبدعه الخيال والوجدان اليوناني وكان تعبيرًا عن الروح اليونانية وظلت شخصية هو ميروس وهزيود من الشخصيات التي تمثل الأساس الأول لدين اليوناني فالأليادة تمثل علاقة الألهة بالبشر وكيف تتحكم الإلهة في مقدرات الإنسان، فهي تعد مستنداً دينياً لكل مواطن يوناني، فهي تعبير عن الثقافة اليونانية بكل سماتها؛ لذا فقد قدسها اليونان فالآلهة عند اليونان لم تكن سوى المعنى النبيل فالشمس وغروبها وسقوط الأمطار وبزوغ القمر ... إلخ لم تخرج جميعها عن حيز الألوهية فالألهة كانت تشارك اليونان أمور دينهم وحفلاتهم وحروبهم وأحياناً قد تكون هناك علاقة شخصية بين البشر والإلهة، وهذا ما يبين أن الإلهة في نظر الإغريق أشخاصاً حقيقيين يمكن أن تقوم بينهم وبين البشر علاقة وثيقة من خلال المناقشات الصريحة(لخ).

فالشعب اليوناني أراد للإلهة أن تكون على شاكلتهم في كل شيء وأرادوا أن يضعوا فيها ما ينقصهم من صفات يتمنون لو كانت عندهم لذا فالألهة تتمتع بالجمال والقوة والذكاء والخلود الذي لا ينتهي فآلهة اليونان هي القوة الكامنه في الظواهر الطبيعية إلى جانب كونها تعبيراً عن تطلعات وأمال المجتمع اليوناني وعواطف الإنسان اليوناني ومشاعره وهذه الآلهة تشارك الإنسان في صنع حضارته وصياغة حياته، وهكذا اختلط المفهوم الإنساني بالمفهوم الإلهي وأصبحت الآلهة على نفس نمط البشر فيما عدا ديمومه حياتهم وقوتهم الفائقة "فالألهة عند اليونان إنسانيون أي لهم شكل وطبيعة إنسانية"، غير أن الشيخوخه لا تصل إليهم والموت كذلك بالإضافة إلى أنهم يتمتعون بقوى تفوق قوى البشر(بر).

من هنا يصبح الفعل الإنساني مسئولية إنسانية تحاول الآلهة مساعدته في تنفيذه عند القيام به، ولكن يبقى المصير الإنساني فعل أصيل للتعبير عن الوجود الإنساني ويظل

---

(1) المرجع السابق ص 20.

(2) M.p. Nilsson: Ahistory of Greek Religion, Transalated by F .J. field man, New york 1964., p. 146.

حق الإنسان في تقرير مصيره راجعًا لمدى قدرته وإرادته وتظل الألوهية في النهاية هي المرجع الذي يستند إليه الإنسان اليوناني في محاولته لتبرير ما قد تم بالفعل من أحداث ونصل إلى ما هو خير وما هو شر ويكون مرجعة إلى القدرة الإلهية حتى أن الهزيمة والنصر تعد عملاً إلهياً.

"فالألوهية في الشعر اليوناني تعد تصعيداً فلسفياً وتوسيعاً طبيعياً للوجود الإنساني ذاته خاصة فيما يتعلق بما حدث فعلاً. أما المستقبل نتيجته تتعلق بصورة مباشرة به وتعتمد عليه(لخ).

فالتفكير في الألوهية أدى إلى أن يتحرر العقل اليوناني من الإلزام الديني والطقوس الدينية الجامدة وأن إنتشار عقيدة كل إله من الآلهة يزيد أو يقل حسب ما يبلغه من شهره في القوة السياسية، وبذلك ظهر نوع من النمو والضعف في قوتهم وسلطاتهم(بر) وهكذا اعتقد اليونان أن الآلهة أصدقاء الإنسان، ولكنها ليست صداقة النظراء وعلى الإنسان أن يكون حذراً حتى لا تنتقم منه الآلهة إذا ما أخطأ ومهما استطاع الإنسان أن يفلت من العقاب بالخداع فهو في نهاية الأمر سوف يأخذ الجزاء على يد الأله فالألهة اليونانية لم تخلق الكون، وإن كانت تنظمه، وفي هذا يذكر أولف جيجن "فيما يتعلق بسير أحداث الكون في الزمان فإن علينا ألا ننسى أن الآلهة خلال كل عصور الحضارة اليوناية لم تكن تعتبر خالقة للكون بل منظمة له(تر).

لهذا يمكن القول بأن تاريخ الآلهة وأنسابها وعلاقاتها بالبشر وبالعالم والكون تمثل جملة العقائد الدينية لدى اليونان، واليوناني إستمد دينه وطقوسه من خلال أدبائه وشعرائه الذين يمثلون بالنسبة للمجتمع اليوناني الوجدان والخيال وجاء دينهم تعبيراً عن الإيمان بالإنسان وإنسانيته.

---

(1) H. Dkitto: poiesis, Structure and thought, Berkeley and los Angeles 1967, p. 144

(2) جورج سارتون: تاريخ العلم، ترجمة لفيف من العلما، إشراف د/ إبراهيم مدكور، دار المعارف القاهرة 1963 ص 399

(3) أولف جيجن: المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ترجمة د/ عزت قرني، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1976، ص 78.

لذا جاءت أشعار وأقوال اليونان والتي تمثل الجوانب الأسطورية على شكل عبارات تشبه الوحي أو الإلهام، ولو يقف الوضع عند هذا الحد بل كانت هناك نبوءات تعبر عن صور التقديس الديني للألهة، وكان لها أثراً قوياً داخل المجتمع اليوناني لما لها من علوم دينية، فالدين اليوناني كان يعتمد على كثير من التناقضات لما يعتمد عليه من استثاره العواطف والمشاعر لدى المواطن اليوناني، بينما كانت الفلسفة تشارك الدين، لأن كلا منهما نتاج بشري فلقد أثرت المعتقدات الدينية في الفلسفة وبخاصة الفلسفة الطبيعية، كما أثر الفكر الفلسفي في تلك المعتقدات فالفلسفة الطبيعية أضفت على مكتشفاتها الطبيعية فكرة المبدأ الأول للأشياء صفات دينية، وهنا تأثيرًا واضح بالقصص الأسطورية بالفكر الفلسفي عن الألوهية[لخ].

وعلى هذا فإنه بالرغم من التحرر الديني السائد فإن الدين يبدو في بعض الأحيان كسلطة ذات تأثير قوي يحاول البعض استخدامه لإعاقة ما يظنه خروجًا عن الدين وحدوده، وأحياناً استخدمت هذه السلطة الدينية لأغراض سياسية كما هو الحال مع سقراط.

فالدين في بعض الحالات يعد سلطة اجتماعية قوية يمكن استخدامها في ظل الديمقراطية اليونانية للتأثير على الشعب في كافة الأعمال السياسية والاجتماعية وسوف يبقى للدين أثر قوي في نفوس الكثير من الفلاسفة أمثال أفلاطون الذي ذكر أن العقل الإنساني صورة مصغرة من العقل الكلي الذي يحكم الأشياء[بر] وأفلاطون في مفهوم الألوهية يقدم بناء منطقياً برهانياً يعتمد على التقاليد الدينية ليقدم بناء إلهامياً أوحى له من قبل نفسه العاملة التي كانت تسكن عالم المثل والعالم الإلهي قبل هبوطها إلى عالم المحسوسات واستقرارها في البدن حيث كانت تسكن قبل ذلك وتقوم بفعل التذكر، حيث كانت تسكن قبل ذلك وتقوم بفعل التذكر؛ لذا يرفض

---

(1) د/ حسام الدين الألوس: من المثيولوجيا إلى الفلسفة عد اليونان/ ط2 المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ص 1981

(2) Sir David Ross: platos theory of ideas, Oxford. at the Clarend an press, 1951. p.34.

أفلاطون فكرة الإلحاد ويدافع عن وجود الألهة ويقول أن كل الأشياء الجميلة هي من نتاج الطبيعة والصدفة[لخ].

فالنظام الموجود في العالم وفي هيئته يدل على وجود الألوهية وهذا النظام الموجود في الكون أكبر شاهد ودليل على وجود خالق مبدع لهذا العالم، ليس عن طريقة الإتفاق، وهذا العالم في حقيقة الأمر كائن حي ذو نفس وعقل وأنه حدث بعناية إلهية، وان الحركة الدائرية هي حركة العالم ولا يمكن القيام بها بذاته لذا فهي معلولة لعلة وهذه العلة ينبغي أن تكون عاقلة، ولما كانت النفوس عاقلة وعلل الأشياء وسبب حركتها كانت العلل عاقلة وهي النفوس ويصل بذلك أفلاطون إلى عالم معقول يصفه بأنه إلهي لإشتراكه في الروحية والعقل ويقع على قمته الله[بر] وهذه النفوس تقوم بفعل الحركة في كل الأشياء وتنقلها من السكون إلى الحياة، بل حتى الروح جزء من النفوس الكلية التي تحكم العالم بذلك التمايز الذي يميزها عن المادة، ويجعلها عاقلة، لذلك يؤكد أفلاطون على وجود الألهة ولا يدع مجالاً للشك في ذلك الأمر.

وأفلاطون هنا لديه بعض المقولات يصفها بصفة الألوهية أولها على سبيل المثال الخير الذي يقع في عالم المثل ويهب عالم المعقولات نور المعرفة وحقيقة الوجود.

ومن الناحية الأخرى نجد الصانع المبدع بوصفة إله يقوم بعملية خلق العالم وتنظيمه على أحسن ما يكون النظام، وهنا يبدو الصانع وكأنه المنظم والمبدع والخالق من حيث أن الصانع هو الذي يتدخل فينظم المادة ويركب منها نسقاً طبيعياً جميلاً يكون على نموذج آزلي ثابت هو المثل[تر].

وهذا النموذج لا يتعرض لتغير أو فناء فهو إلهي وكاملاً من كل الوجوه وهو علة من حيث كونه نموذج يحتذى به، فكل شيء عند أفلاطون إلهي ومثال للخير والجمال

---

(1) أفلاطون: القوانين، ترجمة محمد حسن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ص 453.

(2) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ط5 لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1966، ص 81.

(3) د/ ممد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون جـ1 دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1987 ص 221.

والكمال، وأفلاطون لم يكن يسعى إلى إثبات وحدانية الله بقدر ما كان يعنيه إثبات الروحية المتشعبة في ثنايا الأشياء.

"حيثما وجد التدبير والنظام وجد العقل ووجدت الألوهية أي الروحية ولكن بنسب متفاوته الوجودة[لخ] أليس لدى العقل القدرة على أن يكون مبدأ أول وفرضاً لا مشروط خاصة إذا كانت المثل هي ماهيات ومفاهيم كلية تتمتع بوجود مطلق في عالم مثالي لذا نجد دليل الإبداع والنظام عند أفلاطون لإثبات الألوهية ينطبق على ما يصدق على العقل.

"فإذا كانت المثل الكلية تشارك في العالم الإلهي وتمثل جزءاً منه، وإذا كان الكلي المثل يشارك في الألهي كذلك تكون معرفة الكلي مرتبطة بالنظام الإلهي، ولا يمكن تصورها إلا حينما يكون حامل تلك المعرفة أي العقل قريباً هو نفسه من الإلهي إن لم يكن الإلهي نفسه[بر] وإذا انتقلنا إلى أرسطو ومفهومه عن الألوهية نجده يذكر أن المحرك الأول هو جوهر متفرد واجب الوجود بذاته، ويضعه على قمة الوجود، فالجوهر الإلهي إذا ما خالطة القوة إنتفى معه كون الحركة أزلية، لأن الحركة تحدث عن موجود بالفعل ويذكر أرسطو الله المحرك الأول فعل محض وصورة خالصة وقائم بذاته، وحاصل على وجود حقيقي إيجابي لذا فإن فرديته تمتاز عن فردية الموجودات الأخرى من حيث أنها تعود إلى عدم إحتياجه إلى الغير في وجوده فهو موجود مفارق يكفي ذاته بذاته[تر] ويوجد خارج العالم ولا يخضع للزمان من حيث أن الزمان مقياس الحركة في الكون، فهو ثابت غير متحرك، لأنه لو كان متحرك لزم عنه محرك غير متحرك وهكذا ولكن لا يمكن السير إلى ما لا نهاية بل الوقوف عند محرك غير متحرك يكون هو العلة الأولى لجميع الأشياء والذي يرجع إليه فعل الحركة، فالسماء والموجودات المادية تتحرك بفعل تعقلها إلى المحرك الأول الذي هو

---

(1) يوسف كرم: المرجع السابق ص 88

(2) أدلف جيجن: المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ص92

(3) Aristole, Metaphysics. Translated to English by W.D.R oss London, Oxford 1928. X11 (1) .1.1 103.

الكمال المطلق والخير الأقصى ويذكر أرسطو في ذلك أن السماء تتجه إلى أن تحيا حياة شبيهة بحياة المحرك الأول ولكنها لا تستطيع لأنها مادية، فتتحرك حركة متصلة دائمة وهي الحركة الدائرة[لخ].

فالكواكب عند أرسطو عقول إلهيه من حيث المرتبة تأتي بعد المحرك الأول من حيث أن المحرك الأول غير متحرك لا بالذات ولا بالعرض في حين أن ألهة الكواكب تتحرك حركة عرضية بالإضافة إلى أن الله المحرك الأول "لا تخالطه المادة، ويوجد خارج العالم لا يحده مكان ولا يحكمه زمان، بينما الكواكب الإلهية هي جزء من النظام العام في الكون فهي مادية توجد في مكان ويحكمها زمان وإن كانت أزلية لأنها تتحرك وتأخذ الشكل الدائري حيث أنه أتم الأشكال، لذا يمكن اقول أن المحرك الأول "الله" لم يعد علة فاعلة تقوم بفعل الحركة فعلاً مباشراً لكنه أصبح عله غائية تهدف إليه جميع الموجودات من حيث أنه نموذج يحتذى به، وكمال أقصى وخير مطلق تعشقه الموجودات وتنفعل بعشقه فتتحرك، لذا يهدف أرسطو إلى الوصول إلى الثبات المطلق والكمال الأقصى الذي هو الخير، ففي قمة الوجود يوجد المحرك الأول والعقل المحض والصورة الخاصة والوجود المجرد الثابت الحي الخالد وذلك في أبلغ تعبير عن الله، لذا فالله صورة محضة وجوهر مستقل بلا مادة تشوبه وفعلاً خالصاً فالله لا يمكن أن يكون تعقلاً، فهو خالد وكامل ووجوده بالفعل يتأمل إلى مالا نهاية موضوعية[بر].

فالتأمل العقلي يأخذ صورة الكمال على يد الجوهر الإلهي الخالص من أي مادة ويصبح الله عقلاً كلياً، فالله كما نعرف لا يستطيع أن يجتاز عملية أو تجربه إنه عقل خالص يستطيع التأمل في لحظة فردية أبدية في نمو عالم الوجود الحقيقي كله[تر].

---

(1) W. Windleband: History of ancient phil osophy, translate, by Herbert Ernest cashman Newyork, 1956, p. 132.

(2) Arist. Metaph. (L) X 11-7- 1072.

(3) و.ك. س جثري: الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو ترجمة د/ رأفت حليم سيف مطبعة الطليعة، الكويت، 1988، ص 51.

لذلك يرفض أرسطو كون الله مبدءاً حيوياً أو نفسياً، ويؤكد على أنه فكر محض أو فكر الفكر، من هنا أكد أرسطو على كون الله يتعقل ذاته، ويصبح بذلك إله أرسطو هو تعقل التعقل لأنه لا يستطيع أن يتعقل موضوعاً أخر غير ذاته، وإذا كان شيئاً آخر لزم أن يكون أعلى منه لأنه هو واسطته إلى التعقل.

فالمحرك الأول عند أرسطو عقل وعاقل ومعقول في آن واحد وهذا التعقل الدائم الاستمرار يعطيه أعلى الدرجات من السعادة فهو في سعادة أبديه(لخ) وهذه السعاده لا يصل إليها البشر إلا على نحو قليل.

فالله لا يعقل سوى ذاته، ولا يدرك العالم أو يعلم عنه شيئاً من حيث أن العالم ناقص وفي تغير دائم والعلم بالناقص يعد نقصاً، ولهذا يصبح إله أرسطو يشبه القائد الذي وقف كالتمثال إعتزازاً بكرامته، وكأن هناك عساكر من خشب أخذت تحاكيه على قدر استطاعتهم حتى صارت جيشاً حقيقياً(بن).

فأرسطو قد أراد للحركة مبدأ أول، فصنع المحرك الأول من وحي خياله وجعله يتأمل نفسه بعيداً عن العالم بلا فعل ولا إرادة ولا قدره.

من هنا نجد أن الله فكر، لكنه ليس فكرًا ذتيًا، فهو ليس موجوداً في عقل، بل هو فكر موضوعي، حقيقي في ذاته العالمة بمعزل عن أي عقل يفكر فيه، فالفكر المطلق هو الحقيقي لكنه لا يوجد(تر).

فالمحرك الأول علة غائبة يعشقها العالم وينجذب إليها، ولكنه معزول عن العالم مشغول بعشق ذاته وتأملها في سعادة أبديه، دون أن يكون له أية صلاحيات من شأنها أن تعجل منه إله فعال، أو وظيفة حقيقية تؤكد ألوهيته.

هكذا صور أرسطو الله بأجمل صورة وتسامى به عن العلم بالعالم والعناية به، فعلاقة الله بالعالم علاقة محبه دائمة، وهذه العلاقة هي التي تعطي العالم وبخاصة

---

(1) Srist, Meta, X11, g, 1075.

(2) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ص 182.

(3) وولترسيتس: تاريخ الفلسفة اليونانية ترجمة مجاهد عبد المنعم، مجاهد دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة 984 ص 238.

الفلك الأول قدرته على الحركة، وهكذا تظل العلاقة بين المحرك الأول والموجودات قائمة، وستظل تفسيراتها غيبية وغير معروفة، ومن هنا نجد أن أرسطو يؤكد على عدم تعدد الألهة وسوف تظل الألوهية ذلك المفهوم الغامض هي السر لأكبر لله سواء كان عند أفلاطون في مثال الخير أو عند أرسطو في المحرك الأول.

وهكذا كانت الفلسفة اليونانية نتاج ظروف سياسية واجتماعية ودينية واجتماعية جعلت الفلسفة هي قمة التطور اليوناني المعبر عن الشخصية اليونانية في حضارات الشرق.

2 - معنى فكرة الألوهية في الفكر الإسلامي:

وتتناول الله وصفاته/ مشكلة الخلق والخالق، العناية الإلهية، البعث.

أولاً: الألوهية في الفكر الإسلامي:

مستقاة من القرآن الكريم ويمكن القول بأن أوضح شيء إمتاز به الفكر الإسلامي هو أنه في جملته محاولة ترمي إلى التوفيق بين الفلسفة والدين، ففي كل جزء من أجزائه وكل نظرية من نظرياته نلاحظ أن المفكرين الإسلاميين كان يتجهون إلى هذه الغاية فالدين وحي الله ولغة السماء وغذاء القلوب ومصدر الأوامر والنواهي، فكيف نوفق بينه وبين الفلسفة التي هي من صنع البشر ولغة الأرض ومجال البحث والتعديل.

كيف نوفق الحقيقة الدينية التي أساسها الإلهام والحقيقة الفلسفية التي أساسها البرهان؟ كيف نوفق بين السمعيات والعقليات وبين المسلمات واليقينات؟

بالفعل مهمة شاقة ومحاولة عسيرة ولكنها ضرورية لقوم عاشوا في العالم الإسلامي وكانت حياتهم بل دراستهم خاضعة للبيئة المحيطة بهم ومتأثرة بالعوامل والظروف التي سادت عصرهم حتى مهدوا للفلسفة أن تنفذ إلى الدرسات الأخرى.

وخلاصة القول أن منشأ التوجه هو المعرفة الحضورية للنفس بباريها ومنشأ الاعتقاد الذهني بوجود علة العلل هو الإدراك الشهودي للنفس بنفسها، فلدينا إعتقاد ملازم لعمق الكيان النفسي للإنسان، يوجد باريها وهو إعتقاد من نتاج المعرفة وشهود

مربوبية النفس لربها، إعتقاد بوجود علة العلل الذي انتجته المعرفة الحضورية للنفس بنفسها لذلك كان لابد من البحث في صفات الله ووجوده وفي عنايته الإلهية بالخلق.

ثانياً: الله وصفاته:

بالرغم من أن وجود الله أوضح من أن يبرهن عليه فقد وجد في كل الأزمنه قلة نادرة من المنحرفين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان.

فالإيمان بوجود الله مسألة فطرية في الإنسان وبديهة(لخ) وهناك أدلة من القرآن الكريم على وجود الله تدل على بيان عظم الله وتدبيره وقدرته وهيمنته على كل ما في العالم من صغيرة وكبيرة وبيان عناية الله ورعايته وإحكام المحكم وإبداعه المتقن لكل ما يسري في العالم من قوانين ونواميس.

فالقرآن الكريم يلفت النظر في ملكوت السموات والأرض ليصل الإنسان إلى الإيمان بوجود خالق، وهناك دلائل ثابتة من الخلق على الخالق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تح تخ تم ته ثم ﴾(2)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بن بى بي تر ﴾(3)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾(4) لذلك فالشيء لا يوجد بدون علة ولا يمكن أن يكون علة نفسه فالله هو علة العلل وغاية الوجود كله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾(5)

---

(1) سامي نصر: نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين طبعة أولى، القاهرة 1978، ص 47.
(2) سورة إبراهيم آية 10
(3) سورة الروم: آية 20
(4) سورة الشورى: آية 29
(5) سورة الطور: آية 35

فما نراه في العالم من تناسق وإنسجام وتدبر محكم وعناية بكل صغيرة وكبيره وترابط لا إنقصام بين أجزاء العالم وأجزاء وحداته يدل أيضاً على وجود الله وإذا تصفحنا القرآن الكريم وأياته تبينت مصداق قول الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لم لى لي ... نم نى ﴾ (1)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نى ني ... ين ﴾ (2)

فالحكمة وهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه وتنظيمه في غاية الإحكام والدقة من سماء مرفوعة كالسقف، وأرض ممدوده كالبساط ونجوم منضودة كالمصابيح، وجواهر مخزونة في جوفها كالذخائر والإنسان كالمالك لهذا العالم يدل على وجود الله وقدرته الإلهية ويذكر لنا القاضي عبد الجبار برهاناً آخر على وجود الله إذ يقول:

"إذا ثبت أن الأجسام محدثة فلابد لها من محدث وفاعل وفاعلها ليس إلا الله تعالى خالق كل شيء"(3).

وقدم لنا الكندي دليلاً أخر على وجود الله حيث ذكر أن العالم حادث ومركب ولهذا يحتاج إلى محدث يحدثه ومركب يركبه وهو الواحد الحق المبدع، الممسك كل ما أبدع فلا يخلو شيء من أمساكه وقوته إلا ودثر فالنظام الموجود في العالم وترتيبه وفعل بعض في بعض وانقياد بعضه لبعض وتسخير بعضه لبعض وإتقان هيئته على الأمر الأصلح في كون كل كائن وفساد كل فاسد وثبات كل ثابت وزوال كل زائل لأعظم دليل على وجود مدبر أحكم حكمه(4).

ويذكر الفارابي في كتاب "الفصوص":

---

(1) سورة إبراهيم: آية 34

(2) سورة الذاريات: آية 21

(3) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسيني بن أبي هاشم، حققه عبد الكريم عثمان طبعة أولى مكتبة وهبه القاهرة، 1965ظن ص 112.

(4) الكندي: رسالة في الإبانة عن العلة الفاعلة، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريده جـ 1 دار الفكر العربي القاهرة، 950 ص 215.

إذا عرفت أولاً الحق عرفت الحق وعرفت ماليس بحق، وإن عرفت الباطل أولاً عرفت الباطل ولم تعرف الحق على ما هو حق فانظر إلى الحق على أنه حق فإنك لا تحب الأفلين بل توجه وجهك[لخ]. ويذكر ناصر خسرو: وأن لكل العلل علة وهي علة العالم كله وهي العلة الأولي قالوا: إن للعلل مراتب ولكل علة معلوم من العلة الأولى التي هي البارئ تعالى إلى المعلوم الأخير وهو الإنسان[بر] كل ذلك يدل على قدرة الفاعل ولطيف حكمه ودقيق علمه الشاهدة على بدائع الصنعة من فاعل حر في غاية الكمال.

فليس في الوجود سوى الله وأسمائه أي ليس في الوجود سوى الذات الإلهية. أما ما سميه بالعالم فليس إلا مرآه تنعكس عليها الأسماء الإلهية، وتتحقق فيها الأعيان الثابتة[تر].

فالعالم والكون تحركه علة أولى واحدة هي الله الواحد الذي لا يتجزأ فالغائية الموجودة في الكون والتي يظهر فيها التنظيم والترتيب سواء في عالم الوجود الأرضي أو في عالم الوجود السماوي يثبت وجود إله واحد خالق.

وإذا كان الله هو مصدر جميع الأشياء والمخلوقات، والعلة الأولى لها فلابد وأن يكون متصفاً بالكمال في كل شيء وبالتالي منزها عن جميع أنواع النقصان.

ويدلل أيضاً ابن سينا على وجود الله بأن كل موجود له غاية وكل متحرك يتحرك إلى غاية، فإذا كانت العلل الغائية موجودة فيجب أن تكون متناهية وذلك لأن العلة الغائية هي التي تكون سائر الأشياء من أجلها ولا تكون هي من أجل شيء آخر إذ الخير هو الذي يطلب لذاته لا لغيره، فلا يجب إذن أن تتسلسل الغايات تسلسلاً لا نهاية له، وإنما ينبغي أن يكون هناك غاية لا غاية بعدها وهو الله الواحد.

---

(1) الفارابي: كتاب الفصوص مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن، بيروت 1345 هـ، ص6.

(2) ناصر خسرو: جامع الحكمتين: ترجمة إبراهيم شتا، دار الثقافة للنشر القاهرة، 1977، ص 202.

(3) أبو العلا عفيفي، الأعيان الثابتة في مذهب ابن عربي، "المعدومات في مذهب المعتزلة الكتاب التذكاري، مطبعة مصر القاهرة، 1952، ص 214.

فالله الواجب الوجود لا برهان عليه بل البرهان على كل شيء لأنك إذا حاولت البرهان عليه رجع برهانك إلى مجرد تحليل عقلي لمفهوم مسلم به من قبل كمفهوم الواجب والغاية فالله واجب الوجود هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات فوجوده أفضل الوجود وقدم الوجود ولا يمكن أن يكون وجود أفضل ولا أقدم من وجود الله.

وهو موجود بالفعل ولا بحاجة إلى شيء يديم وجوده لذلك كان أزلياً دائم الوجود بجوهرة وذاته فهو تام الوجود لا يعتريه أي تغير وهو واحد لا شريك له ولا ضد له فالله عقل، وعاقل، ومعقول وكل هذه الأشياء معنى واحد فيه وذات واحد وجوهر واحد لا ينقسم وكذلك أنه علم، وعالم ومعلوم وحق، والعاشق منه ه والمعشوق، والمحب منه هو المحبوب فهو إذن المحب الأول والمحبوب الأول، والعاشق الأول والمعشوق الأول أحبة غيره، أولم يحبه، وعشقه غيره أو لم يعشقه(لخ).

إذن فالله يعقل ذاته، وعقلة علة صدور العالم عنه فهو إذن لا يحتاج في صدور العالم عنه إلى شيء غير ذاته، ولا إلى عرض يطرأ عليه، ولا إلى حركة يستفيد بها حالاً لم تكن له، ولا إلى آلة خارجة عن ذاته، بل العالم يفيض عنه لذاته وبذاته.

وخلاصة القول: أن وجود الله رافق ظهور الوعي لدى الإنسان فهو وجود أزلي وثابت وهذا ما اثبتته دلائل القرآن القاطعة على وجود الله من ناحية وكذا أدلة مفكري وفلاسفة الإسلام على إثبات وجود الله المنظم والمدبر لهذا الكون فهو العلة الأولى لهذا الوجود والتي ما بعدها عله أخرى.

صفات الله:

الله تعالى مثال الجمال والخير والحق، فهو علة ما هو جميل وما هو خير وما هو حق، فالله هو المدبر والمنظم لكل شيء وهو لا يخضع لمقاييس الزمان والمكان التي خضع لها المحسوسات وهو منبع العلم الذي لا ينضب له معين وهو العاصم من الشر

(1) الفارابي: المدينة الفاضلة، تحقيق د/ البير نصري نادر، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، 1959، ص30.

الدافع إلى الخير، فالله يرعانا ويعني بضبط سلوكنا فعنايته تشمل كل شيء[لخ] خاص بالجزيئات والكليات وأول صفات الله هي:

أ - العلم: نجد أن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء ومحيط به ودائم العلم والمعرفة في الآزل والأبد، وهذا العلم المحيط لا يوجب تغيراً في ذاته تعالى ولا يغرب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء أي أن الله تعالى يعلم الجزيئات والكليات لأنه صنع العالم على مافيه من آثار الحكمه والتدبير، لأن الصنائع لا تظهر إلا من ذي علم كما لا تظهر من عالم فإذا أثبتنا أن الله عالماً فلابد من إثبات علم له وإذا اثبتناه قديراً فلابد من إثبات قدرة له ... إلخ لذلك نعلم الله واسع ولا نهاية له والله يعلم بكل شيء منذ الأزل قبل أن تنشئ السموات والأرض فالله عالم ولا يحتاج إلى ذات يعلمها غير ذاته، لذلك فهو عالم وعلم ومعلوم أو ذات واحدة، فالله يعلم كل شيء يعلم غير بزماني فلا ينبغي أن يكون علمه بالجزيئات علماً زمانياً يدخل فيه الأن والماضي والمستقبل لصفة ذاته أن تتغير بل يجب أن يكون علمه بالجزيئات على الوجه العالي المقدس عن الزمان[بر].

وهناك آيات تدل على علم الله وقدرته فهو عالم الغيب والشهادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ﴾[3]

وأيضاً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم هج هم هى يج يح يخ يم يه ﴾

(1) الفارابي: المدينة الفاضلة، تحقيق د/ البير نصري نادر، المطبعة الكاثولولكية بيروت، 959 ص 30.

(2) ابن سينا: الشفاء، الإشارات والتنبيهات جـ 3 دار المعارف القاهرة، 960، ص 356.

(3) سورة الحديد: آية 22.

□ □ □ □ نمنى □ □ □ □ □ □ □ □[1] قَالَ تَعَالَىٰ: □ □ نم نى □
□ □[2].

فاللّه وعلمه منزه عن أن يوصف بكلي أو جزئي ولا إختلاف في ذلك[3] فالنظام الدقيق الموجود في الكون يدل على علم اللّه ووجوده وعن صانع رتب الأشياء وفق غاية معينة فوجب أن يكون عالماً بما صنع.

وخلاصة ذلك أن اللّه يعلم ما يصدر عنه ويعلم ما صدر عما صدر منه إلى آخر ما صدر أنه يعلم كل ما صدر عنه بواسطة او بغير واسطة وعلمه ليس من جنس علمنا لأن علمنا ناقص ومتأخر عن المعلوم[4].

ب - **القدرة الإلهية**: اللّه سبحانه وتعالى قادر على كل شيء وله الخلق والأمر والنهي وهو صاحب الملك والملكوت والعزة والجبروت، وجميع أنواع البشر تحت سيطرته وأمره فهو يقول للشيء كن فيكون سبحانه وتعالى فهو قادر على خلق جميع الأجسام والأعراض من حركة وسكون وألوان وحياة وموت وصحة ومرض، وأفعال العباد لا تجري كما يشهون ويقصدون ولكن بقدرة اللّه وإرادته العظيمة، فاللّه خالق كل شيء والخلق هنا يفيد التقدير وليس الاختراع لذلك فاللّه هو الفاعل الحقيقي لكل الموجودات، أما المخلوقات فلا تفعل الأعلى المجاز وتصدر أفعالها عن إنفعال باللّه حتى تنتهي إلى المنفعل الأخير، وهو اللّه المبدع لكل شيء والمتمم لكل شيء فهو علة العلل فالعلة الحقيقية لكل ما يجري في العالم هو اللّه.

---

(1) سورة الانعام: أية 59ظن 60

(2) سورة الملك: آية 4

(3) ابن رشد فصل المقال دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982، ص 23 -42

(4) ابن رشد: تهافت التهافت، دار المعارف، القاهرة، 1981ن ص 666.

obeikandi.com

وقدرة الله تتمثل أيضاً في إنصاف المظلوم في الأخره وفي الدنيا فيرحمه أفلا تكون استجابته في الآخرة واجبه وهو رب العالمين وما معنى تحمل المؤمن للظلم في الدنيا غير أنه ينتظر عوضاً واجباً على الله في الآخرى، يشفي به صدره ويفحم به قلبه المؤمن بالإنتصاف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾[2] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾[3]

تلك هي قدرة الله وإرادته في خلقه وفي أفعالهم.

جـ -**الإرادة الإلهية**: إرادة الله إرادة قديمة وهي إرادة تتجه نحو الصلاح والخير ولا تتعلق بالشر والفساد فهي إرادة مطلقة وشاملة تتعلق بكل ما هو كائن وما يكون، وتخلق كل شيء إذا لا خالق سوى الله فهو مريد كل شيء وقادر على كل شيء بإرادته المطلقة الخيرة نحو الصلاح للبشرية.

فكل فعل يصدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضدله أمكن أن يصدر منه بعينه في غير وقته أي قبله أو بعده، فالأراده الإلهية لا حد لها ولا قيد، فالله يعقل ما يشاء حين يشاء ولو اجتمع الإنس والجن على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها بدون إرادة الله يعجزوا عن ذلك، فالإرادة الإلهية قديمة بقدم حدوث العالم لأنها لو كانت حادثة لصارت محلاً للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدًا لها فيفقتر حدوثها إلى إرادة أخرى وبتسلسل الأمر إلى مالا نهاية، فالله هو العلة الأولى لكل عمل إنسان أو حيوان أو جماد على وجه الأرض.

د - الوحدانية: الله هو الوجود الأول التام الذي لم يسبقه وجود ولا ينتهي له وجود ولا يكون وجود ولا يكون وجود إلا به، الله واحد بالعدد واحد بالذا وواحد في فعله

---

(1) سورة يونس آية 99

(2) سورة القمر: آية 49

(3) سورة الرعد: آية 8

أي أنه لا ينقسم لا بالكم ولا بالمبادئ المقومه له ولا بأجزاء الحد وواحد من جهة أن لكل شيء وحدة تخصه ولها كمال حقيقته الذاتية[لخ].

فالله ليس له هيولي أو صورة أو كمية أو كيفية أو إضافة وليس له جنس أو فصل أو شخص أو عرض عام وكذلك ليس متحرك ومن ثم هو وحده محضة وخير محض وكمال محض وحق محض بكل معاني الحق وهو عقل وعاقل ومعقول وهو حكمه وحكمته هي إرادته الثابته التي لا تتغير ولا تسعى لغاية هو بذاته عاشق ومعشوق[بر] فالله هو مبدع الوجود ومنشئ الكل فهو الحق المحض، والقدرة المحضة والحياة المحضة وفكرة الوحدانية تعتمد على أسس وجوانب دينية وشرعية مستمدة من القرآن الكريم منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (3)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (4)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (5)

فالله منزه عن الافتقار إلى الغير فهو واحد تام وذاته ليس فيها كثرة بوجه من الوجوه فالله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا يجوز عليه إجترار المنافع

---

(1) ابن سينا، النجاه، القسم الإلهي، ص 230.

(2) ابن سينا، الإشارات جـ1 مرجع سابق 255، كذلك الرسالة النيروزيه، ص 35

(3) سورة الأنبياء: آيه 22.

(4) سورة المؤمنون: أيه 91.

(5) سورة الإسراء: آيه 42.

ولا تلحقه المضار ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص وعن إتخاذ الصاحبة والأبناء[لخ].

هـ - **الكلام**: صفة من صفات الله وتشتمل على صيغة الأمر والنهي والخبر وسائر الأمور ككلام العباد[بن] والدليل على أن الله متكلم القرآن الكريم الذي يدل على إعجازه وعلى أنه ليس من صنع البشر[تر] وهناك آيات تشير لذلك قَالَ تَعَالَىٰ: □ □ □ □ □ □ نم نىَّ[4] فالقرآن مخلوق لأنه مقدر من الله كسائر أفعاله[5] فالامر يعني الكلام قَالَ تَعَالَىٰ: □ * □ بر * □ بن ّ [6] فكل شيء في السماء والأرض بأمره تعالى فالقرآن من علم الله، وعلى ذلك ليس القرآن بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله[7].

و - **الحياة والسمع والبصر:** فيما سبق أثبتنا قدرة الله على كل شيء مخلوق، وكذلك علمه بكل ما هو محيط به ومن ثبت له كل ذلك فهو بالضرورة حي ونجد صفة السمع والبصر من صفات الكمال وهي توجد في المخلوق فكيف لا يكون الله سميعاً بصيراً بكل شيء يدور حوله في الوجود فالله إذن سميع بصير.

---

(1) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين طبعة ثانية تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد جـ 1 مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 969 ص 235 ما بعدها.

(2) القاضي عبد الجبار: كتاب المغني دار الكتب المصرية القاهرة، 1963م، ص3

(3) المصدر السابق، ص 58 وما بعدها

(4) سورة الانبياء: آية 2

(5) المصدر السابق: ص 208

(6) سورة الرحمن: آية 4

(7) الشيخ الصدوق: كتاب التوحيد: دار المعرفة بيروت، 1387 هـ ص 223.

فالله سميع بصير حي، فالله بصير بمعنى عالم وهو حي لأنه مانح الحياة فيجب أن يكون حياً، ومن يتصف بالسمع والبصر والكلام والإرادة الإلهية والقدرة ينبغي أن يكون حياً وهناك آيات كثيرة تدل على وجود الله منها قَالَ تَعَالَىٰ: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ (لخ) قَالَ تَعَالَىٰ: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ (بن) كل ذلك يدل على وجود الله وإرادته وقدرته المطلقة في خلق أفعاله نحو الخير والحق والجمال.

ز -**أزلي أبدي بسيط:** أي أنه تعالى ليس هناك ما هو أقدم منه، وكذلك ما لا يستمد وجوده من غيره لأنه ليس هناك ما هو أقدم منه وكذلك مالا يستمد وجوده من علة له ولا موضوع له ولا محمول ولا فاعل ولا سبب وهو كذلك لا يخضع للفساد ولا يتحرك ومن ثم فإنه ليس له زمان لأن الزمان عدد الحركة، لذلك فالله هو العلة الأولى وهو الفاعل الأول والمتمم لكل شيء.

فالله أزلي أبدي في الحركة الناتجة عنه ولا يجوز عليه التغير لأن التغير معناه الإنتقال من حالة القوة إلى الفعل فهو فعل محض وهو بسيط لا أجزاء له لأن التركيب يقتضي الإمكان، ولأن كل مركب لابد وأن يكون متناهياً ولا واحد من الأشياء المتناهية له قوة لا نهائية(تن) بما يحدث الحركة الأزلية الأبدية.

فالله ذات واحدة وجوهر واحد، وهو حكيم بحكمه من ذاته لعلمه بذاته فالله حق لأنه موجود وجودة أكمل وجود هو الحياة وحياته في أنه عقل بالفعل ومعقول بالفعل فهو بدا عاقل، وفعل العقل حياة والله هو كذلك الفعل الصادر عن ذاته حياة أزلية فاضلة(ين).

تلك هي صفات الله مستخرجه من الفكر الإسلامي والقرآن الكريم.

مشكلة الخلق والخالق:

---

(1) سورة طه: آيه 5

(2) سورة الرحمن: آيه 27

(3) أرسطو: ما بعد الطبيعة مقالة اللام ترجمة أبو العلا عفيفي ص 17.

(4) أرسطو: المصدر السابق ص 118.

فكرة الخلق تستلزم أن يكون الخالق متصفاً بالحياة والقدرة الألهية وإبداع الخلق ومافيه من جمال وإتساق ونظام يدل على وجود مبدع لهذا الخلق وهو الله الواحد الخالق لكل شيء في الكون فكل حادث في العالم هو من فعل الله وخلق وإختراعه لا خالق سواه ولا محدث له إلا إياه خلق الخالق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال العباد مخلوقه له ومتعلقه بقدرته، فالله سبحانه وتعالى له حق التصرف المطلق في عبادة وله ما يشاء ويحكم بما يريد في صالح العباد، وكل حركات العباد مقدرة بقدرة الله تعالى وبقدرة العبد على الإكتساب.

فالمادة والعالم لا وجود لهم بدون الله، والتغيرات الكونيه على اختلافها ترجع إليه فالمادة قديمة ومخلوقه خلقها الله بفيض من عنده أزلاً وتعهدها بعنايته ورعايته فيما بعد.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على إتصال الله بمخلوقاته وبالأخص الإنسان منها، إتصال إيجاد لها وإشراف على حركاتها ومصائرها مثل قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □□ تن تى تي □ □ □
□ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ * □ □ □ □□ □ □ □□ نى ني □
بر □ □ بن □ □ □ □□ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تمَّ (لخ)

وقوله أيضاً:

قَالَ تَعَالَىٰ: □
لجلح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم □ □ هم □ يج يح يخ يم □ □ □ّ (بر)

فالله خالق وفاعل، وأن العالم أثر فعله، أو هو مخلوق له، وأن الله أبدع الخليقه بأسرها بفعل الأمر لإخراج العالم إلى خير الوجود ويوضح فيه عربي ذلك في تفسيره لحديث القدسي:

---

(1) سورة يونس: آية 2 -4

(2) سورة يونس: أية 61

"كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فخلقت الخلق فيه عرفوني" إذ يقول إن الحق تعالى شاء أن يظهر الخلق عامة والإنسان خاصة ليعرف وليرى نفسه في صورته تتجلى فيها صفاته وأسماؤه وكشف بذلك عن الكنز المخفي الذي هو الذات المطلقة المجردة عن العلاقات والنسب ولكنه لم يكشف عنها في إطلاقها وتجريدها بل في تقييدها وتعيينها(لخ) وهناك ما يجمع بين دليل الخلق ودليل العناية الإلهية".

قَالَ تَعَالَىٰ: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ(بر)

وقوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ(تر)

كل هذه الآيات تتضمن في صورتها السهلة الأثر والذي يدل على المؤثر وتتضمن في صورتها الكلامية، كل حادث لابد له من محدث وتتضمن في صورتها الفلسفة القديمة الممكن والواجب وتتضمن صورتها الفلسفية الحديثة شعور الوجدانية أو فكرة الكمال وغير ذلك.

لذلك فجميع افعال العباد مخلوقة قد خلقها الله في الفاعلين لها وأن أفعالها محدثة، فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل، لذلك فليس شيء من أفعال العباد إلا ولله عز وجل فيه فعل من طريق الإسم والحكم معنى ذلك أنه ليس للناس فعل إلا ولله تعالى فيه حكم بأنه صواب أو خطأ وتسميته بأنه حسن أو قبيح طاعة ومعصية.

فالله خلق أفعال العباد كلها وهناك نصوص بديهية تدل على ذلك في قول الله عز وجل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ(يز)

وهذا كافٍ لمن عقل واتقى ربه.

---

(1) محي الدين ابن عربي: نصوص الحكم، تحقيق أبو العلا عفيفي، القاهرة، 946، ص 48 وكذلك أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي دار الثقافة والنشر القاهرة، 1976، ص 47.

(2) سورة البقرة: آية 164.

(3) سورة الروم: آية 25

(4) سورة فاطر: آية 3

obeikandl.com

وقوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تخ تم ته ثم جم حم خم سم ﴾ (لخ)

وهذا يدل على أن الدين مخلوق لله وقال تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لخ لم لى لي نم نى ﴾ (بر)

وقال تعالى أيضاً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يم يى ﴾ (تر) وهذا نص يدل على إبطال أن يخلق أحد دون الله تعالى شيئاً لأن لو كان هناك أحد غيره يخلق لكان من يخلق موجود جنساً في حيز ومن لا يخلق جنساً آخر فالله تعالى هو الذي يخلق وحده وكل من عداه لا يخلق شيئاً وليس أحد مثله تعالى، فليس من يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه.

ومن قوله تعالى عز وجل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (ير) وهذا إيجاب لأن الله تعالى خلق كل ما في العالم وأن كل من دونه لا يخلق شيئاً أصلاً، ولو كان هناك خالق لشيء من الأشياء غير الله لكانت هناك تعددية وهذا أمر مستحيل وقول الله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نى ني ير ين ﴾ (سم)

وهذا بيان واضح على أن الخلق كله جواهر وأعراض ولا يشك في أنه لا يفعل الجواهر أحد سوى الله ولم يبقى إلا الأعراض فلو كان الله تعالى خالقاً لبعض الأعراض والناس خالقين لبعضها لكانوا له شركاء في الخلق ولكانوا قد خلقوا

---

(1) سورة الروم: آية 30
(2) سورة الفرقان: آية 3
(3) سورة النحل: آية 17
(4) سورة لقمان: آية 11
(5) سورة الرعد: آية 16

كخلقه، ولكن هذا تكذيب لأن الله تعالى وحده هو الذي يخلق كل شيء فالخلق هو الإختراع فالله تعالى مخترع لأغراضنا كسائر الأعراض فالله خالق الكل والأبد.

وقوله الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بم به تج تح﴾[لخ] وهذا يدل على أن الله تعالى خالق أعمالنا.

وهناك نص اخر يدل على الخالق: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ * □ ى ي □ ير □ * ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جم □﴾[بر]

لذلك فالله هو الذي خلق الحياة والموت وجمع بين الجسد والنفس وتفريقهما فالحياة والموت مخلوقان له عز وجل يقيناً وهو خالق كل شيء من جوهر وعرض ولا يوجد شريك له ولذلك خرج قوله تعالى تبارك الله أحسن الخالقين، وقول الله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هم □ يج يح يخ يم﴾[تر] فالله بصنعة أتقن كل شيء وإتقانه له أنه خلقه جوهراً أو عرضاً لذلك فالله خلق كل شيء حسن وهو محسن في كل شيء.

فخلق الله تعالى في الحي الناطق الفعل والإختيار والتمييز، وخلق في الحي غير الناطق الفعل والاختيار فقط، وخلق في الجماد الفعل فقط وهو الحركة والسكون والتأثير، لذلك لم نستطع قط على فعل ما لم نعلم أننا سنفعله إلا بأمر الله وإرادته فينا.

فالخلق كله مصرف تحت أمر الله عز وجل وعلمه فلا يقدر أحد على تعدي ما علم الله تعالى أنه سيكون ولا يكون إلا ما سبق في علمه أنه يكون وصلة الله بخلقه

---

(1) سورة الصافات: آية 95

(2) سورة المؤمنون: آية 12،14

(3) سورة النمل: آية 88

obeikandi.com

تقتضي عدلة ولا تصدر عن الله أفعال إلا وعلى وجه الصواب والمصلحة وبمقتضى حكمته يكون كل ما في العالم من أجل خير الإنسان ورعاية مصالح العباد(لخ).

فهل الظواهر الكونيه ظواهر طبيعية كانت أم عضوية تخضع لعلل غائبة ومن ثم فإن وجودها يحقق كما لها أم أنها لا تخضع إلا لقوانين طبيعية أو آلية بحته كما يرى الطبيعيون والأليون أم أنها تخضع لمشيئة الله المطلقة دون علة أو حكمه كما يرى بعض المتكلمين(بن).

فبمقتضى حكم الله لا يمكن أن يكون الخلق عبثاً وإنما كل شيء يدل على إحكام التدبير والنظام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾(تن) فكل ما في الكون لابد أن يكون موصلاً إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة تلك نظرة تخلع على الكون وما فيه من ظواهر تفسيراً أخلاقياً من حيث استحالة تصور العبث في الوجود وهذا التفسير يكون متفق مع مبدأ العقل، لأن العقل يضفي على الموجودات والظواهر تصور التدبير والنظام القائم في الكون وإذا كان الله قد خلق كل شيء لعله نافعه وغاية محمودة فإنه لابد وأن يوجد ذلك الكائن العاقل الذي يتعقل الموجودات ويدرك سر وجودها.

فلا يجوز على الله أن يخلق الجمادات دون الأحياء ولا يجوز على ا لله أن يخلق الأشياء إلا ليعتبر بها العباد ولا يجوز أن يخلق جسماً لا يعتبر به راء(بن)" فالله ينادي الإنسان أن ينظر إلى ملكوت السماوات والأرض وأن يفكر ويتدبر ثم يؤمن ويعتبر.

ولو كان العالم كله مخلوقات غير عاقلة لما استحق أن يوجد إلى أن يوجد ذلك الكائن العاقل الذي يدرك قيمة الخلق ويقدره، لأن الإنسان وحدة هو الذي يمكن أن يدرك ذاته ويدرك ما حوله.

---

(1) الشهرستاني: الملل والنحل جـ 1 مكتبة الخانجي، القاهرة، 320 ص 55.

(2) كولبة: المدخل إلى الفلسفة ترجمة د/ أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة، 942 ث 210 وما بعدها.

(3) سورة القمر: آيه 49

(4) البغدادي، أصول الدين، نشر مكتبة المثني، بغداد، بدون تاريخ ص 72

لذلك فإن ما كان من الخلق غير مكلف فإنما خلقه الله لينتفع به المكلف ممن خلق وليكون عبره له ودليلاً[لخ].

إذا خلق الله شيئًا من الجماد وجب عليه أن يخلق حيًّا وأن يتم عقله[بر] فالله لا يخلق شيئاً لا يعتبره أحد من المكلفين ويقول الرازي كل من فعل فعلاً لأجل تحصيل مصلحة أو لدفع مفسده فإن كان تحصيل تلك المصلحة أولى له من عدم تحصيلها كان ذلك الفاعل قد إستفاد بذلك الفعل تحصيل تلك الأولوية، وكل من كان كذلك كان ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره وهو في حق الله محال وإن كان تحصيلها وعدم تحصيلها بالنسبة إليه سيان فمع الاستواء لا يحصل الرجحان فامتنع الترجيح، ولا يقال حصولها ولا حصولها بالنسبة إليه وإن كان على التساوي إلا أن حصولها أولى للعبد من عدم حصولها له، فلأجل الأولوية العائدة إلى العبد ترجح الوجود على العدم، لأن نقول تحصيل مصلحة العبد وعدم تحصيلها له إما أن يكونا متساويين بالنسبة إلى الله تعالى أو لا يستويان وحينئذ يعود التقسيم المذكور[تر].

فالخلق الذي أوجبه الله تعالى لنفسه ونفاه عن غيره هو الإبداع والاختراع وإحداث الشيء من لا شيء أي من العدم إلى الوجود، وأما الخلق الذي أوجبه الله لغيره فإنما هو ظهور الفعل منهم وانفرادهم به، والله خالقه فيهم.

كل هذه الأمور تمثل أوجه مظاهر عناية الله بالإنسان والبشرية كلها وإرادة الخير والصلاح لها.

"العناية الإلهية والبعث"

نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى دائم العناية الإلهية بعباده الصالحين لدرجة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بج بح بخ بم ﴾[يز]

---

(1) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين وإختلاف المصليين، تحقيق محي الدين عبد الحميد جـ 1 مكتبة النهضة، القاهرة، 1950 ص 91.

(2) الأسفراييني: التبصير في الدين، تحقيق زاهد، الكوتري مكتبة الخانجي 1372 هـ، ص 63.

(3) فخر الدين الرازي: الأربعين في أصول الدين مكتبة حيدر آباد الدكن بيروت 1353، ص 25.

(4) سورة لقمان: آيه 14

فالله لا يغفل عن عباده ولو للحظة واحدة فهو يتعهد كل شيء في الوجود حتى في الجمادات فالقرآن يؤكد على صلة الله بعباده وعلاقته الدائمة بالإنسان الذي هو أعظم شيء في الوجود فقد خلق من أجله الانعام لتوفر له الراحة والأرض لتنبت له الزرع والسماء لتهديه إلى النجوم ونجد ذلك واضح كل الوضوح في آيات القرآن الكريم وسورة : منها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (لخ)

لذلك نجد أن عناية الله لم تكن قاصرة على توفير متع الحياة الجسدية بل تعدت ذلك، ووصلت إلى العناية بالروح وطمأنينتها فأرسل الله لذلك الرسل لتأخذ بالإنسان إلى حيث يكون الحق والكمال والفضيلة والخير للبشرية كلها، وكانت هذه الرسل من أجل فرض بعض التكاليف والعبادات والشرائع ومحاسبة المخالصين على التقصير فيها وذلك من أجل أن يرتفع الإنسان فوق هواة ويؤثر جانب الخير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (بن)

إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق (تر)

لذلك فعناية الله الإلهية تصدر عنه إلى الإنسان إذا صدق النيه والقول، وصار من أهل الفضيلة والحق، فالله كبير المغفرة والتسامح ورحمته وسعت كل شيء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (ير) لذلك يجب علينا أن نحمد الله على هذه العودة ونشكره عليها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (سم) فالله لم يغلق أبواب السماء أمام العصاة مهما كان الذنب فهو غفور رحيم بعباده التائبين العائدين إليه بعد معرفة ذنبهم ويقول الله عز وجل في ذلك: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (شم)

---

(1) سورة النحل: آيه 18

(2) سورة الأنبياء: آيه 107

(3) حديث شريف.

(4) سورة النساء: آيه 17

(5) سورة آل عمران: آيه 135

(6) سورة الزمر: آيه 53

فالله عز وجل مطلع على كل شيء في الكون في السر والعلانية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ □

□ لج لح لخ لم لهٰ مج مح مخ مم نج نح نخ نم □ □ □ هم □ ﴾ (لخ)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ □ □ □ □ □ ﴾ (بر)

فالله هو القادر على كل شيء، ويعاقب كل إنسان على جريمته وليس من الضروري أن يؤجل ذلك إلى يوم البعث بل قد يجل للخارجين على شريعة الله العقوبة في الدنيا مع الزيادة عليها في الآخرة، كل ذلك يؤدي إلى تطهير الأرض من الشرور والوصول بالإنسان إلى الإيمان بالله، وحماية نفسه من كل شيء يفسد عليه سعادته وطمأنينة نفسه، فعناية الله واسعة بعبادة المخلصين فهو عالم بكل شيء حوله فمن الخير للإنسان أن يعمل على كسب رضاه كقوله تعالى:

﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ (تر)

وقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حم □ خم □ □ □ سم □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ (ين)

وأخيرًا نصل إلى فكرة البعث وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة العناية الإلهية، فالأخرة إما أن تكون سعادة أو شقاء كلا حسب عمله ونيته في الدنيا، وإتباع نصائح رسلة ولا عمل بكتاب الله وسنته أو معارضه ذلك والخروج عليه، فالدنيا وسيلة لا غاية فالبعث حق والنشور حق وهذا يذكرنا دائماً بهذه اللحظة التاريخية في حياة الإسلام ويذكر الذين ينكرون فكرة البعث يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم ﴾ (سم)

﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني* ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □

□ ﴾ (شم)

---

(1) سورة الأنعام: آيه 59

(2) سورة غافر: آيه 19

(3) سورة الزمر: آيه 67

(4) سورة غافر: آيه 15

(5) سورة الأسراء: آيه 51

(6) سورة يس: آيه 79

obeikandi.com

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۚ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ﴾ (لخ)

لذلك فغايه الدين وشريعة الله هو عمل كل ما هو مرغوب فيه من قبل الله سبحانه وتاعالى واجتناب كل مالا يرضي الله تعالى وعلى الإنسان أن يرتفع فوق نزواته وأن يؤثر دائماً جانب الخير والحق والفضيلة في أعماله ونواياه حتى يقاوم نزعات الشر.

فالدين الإسلامي وشريعته تدعو الإنسان إلى الرغبة في الخير والفضيلة حتى يسود مجتمع فاضل تسوده المحبه والإيمان بالله وبرسله حتى نصل إلى طمأنينة النفس والتي هي في النهاية السعادة القصوى للبشرية.

(1) سورة الروم: آيه 27

obeikandl.com

مصادر فكرة الألوهية عند الرازي

تمهيد:

هناك حقيقة مسلم بها وهي أنه لم يوجد فيلسوف نجح في حل مشكلة الألوهية بأكثر مما وردت في الأديان السماوية فلم يكن فيلسوفنا الرازي بدعا بين الفلاسفة في هذا المجال.

وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من التوغل في بحث طبيعة الذات الإلهية حتى لا يضيع جهد المفكر الإسلامي، فلا يبذل إلا في كشف الغوامض الكونيه لا غير، بناء على التفكير والتجربه وأنا لم أرى في آراء الرازي حيدة عن هذا المنهج العظيم.

فالبحث عن حقيقة الذات الإلهية يؤدي بنا إلى نوع من القلق والاضطراب لذلك فجميع أخبارنا عن الله تعالى وذاته الإلهية تكون نسبية والحق أن البحث في العلة الأولى من علامات الفيلسوف الحق، لكنه لم ينته إلى يقين في حقيقة الحياة ذاتها، فأتى له أن يقف على حقيقة الذات الإلهية.

فالدين يحتوي على أصول الحقيقة للذات الإلهية، فلم يكن أصدق عقيدة فحسب بل كان أصدق فكرًا وأعمق، حين وصفه الله جل بأنه ليس كمثله شيء.

"**إنكار الرازي فكرة الألوهية**"

لم ينكر الرازي فكرة الألوهية ولكن أثبت وجود الله تعالى وأنه خالق هذا الكون، ومدبر الأمور كلها، لكن إتهم بالإلحاد نتيجة بحثه في مسألة الألوهية.

وهناك بعض الباحثين ينسب إليه إنكار الألوهية؛ لأنها تسمو على العقل، وبالتالي فهي لا يدركها فهي غير مقبوله ولا مفهومه.

إلا أننا نجد عند الرازي مصدراً إسلامياً بارزاً وواضح فهو يؤكد على أن العقل يستطيع أن يدل الإنسان على معرفة الباري تعالى الذي هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أحبنا[لخ] فأن معرفة الإله هي أعظم المعارف كلها.

---

(1) الرازي: الطب الروحاني: مصدر سابق ص 18.

كذلك يرى الرازي أن معرفة الله عن طريق العقل، ليست أمراً مستحيلاً فقد أمكن للإنسان بهذا العقل، إدراك الغامض البعيد والخفي المستور.

ومن الحق أنه لا تعارض بين الثقة المطلقة في العقل، وبين الإيمان الديني بقوى غير منظورة، وإذا كان المذهب العقلي إتجاهاً فكرياً يهدف إلى تفسير العالم على أساس من النظر، فهذا لا يمنع من وجود مذهب عقلي في حدود تعاليم الدين وشرائعة وكان أبو حاتم ممن أثار الشكوك على الرازي واتهمه بالإلحاد نذكر أن الرازي قد صرح له بخمسة قدماء، وأنه كان الأولى برحمه الرحيم أن يمنع النفس الكلية من التبجل في هذا العالم، وأنه كان خيراً لها من معاونتها على إحداثه، وأن هذا يلزم منه عجز الباري تعالى(لخ) ويرد الرازي على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يمنعها فالرازي لم يقصد إلى ذلك، ويصرح بأن الله تام القدرة، وأنه لا يلزمه العجز(بن).

ويتضح لنا من ذلك أن فيلسوفنا الرازي يبدي تنزيه الله تعالى ووصفه بما يليق به من صفات الكمال والحق والخير، فهو ليس من الزنادقه والجهمية الذين نفوا قدرة الله تعالى، لذلك لم يكن أبن تيمية محقاً فيما نسبة الرازي بنفي صفات الله وأفعاله الاختيارية(تن) فالرازي لم يدع دعوة دون برهان صادق،ولم يكن يقبل المخرقة والشعوذة، بل حارب كل ذلك، ولا سيما في كتبه الطبية فهو ليس دهرياً، فقد انتقد جالينوس لأنه يقول بالدهر "إن جالنيوس قد عني بالتشريح، وكان يدعي فيه دعاوى وكان مؤكدا للقول بالدهر"(ين) وهذا يؤدي إلى أن العالم قديم لا صانع له وقد إتهم الرازي أيضاً بأنه يعد الخالق والمخلوق في جنس واحد لأنه لا يقول بالمبادئ مستقلة عن الله.

وتوالت الإتهامات على فيلسوفنا الرازي حول فكرة الألوهية حيث ذكر أنه إتخذ العدد "خمسة" لمبادئه والإسماعيلية يؤولون هذا العدد بأن الصلوات خمس، والفضلاء من أهل بيت النبوة خمس وهذا العدد يحتل مركز السيادة في التفكير المانوي.

---

(1) الرازي: المناظرات ضمن رسائل فلسفية للرازي ص 303

(2) المصدر السابق ص 309 وما بعدها

(3) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، في نقص كلام الشيعة والقدرة، المطبعة الأميرية مصر 1321 هـ ص 97

(4) الرازي: ما بعد الطبيعة "ضمن رسائل الفلسفية" مصدر سابق ص 126

وكان الكيال يثبت خمسة أماكن في العالم الأعلى وأدعى دعاوي في الأمامة أقامها على الأعداد والأحرف وكان للرازي صلة بالكيال وكتب رسالة في الأمامة عن الكيال..[لخ].

وقد اتهم الرازي أيضاً بأنه يعد واحد ممن واصلوا حمل التراث المتصل بمذهب الجوهر الفرد القديم، وأنه حكي عن اليونان قدم الخمسة، مؤسساً مذهبه على ذلك النمط، وهو أيضاً متفق مع الحرانية، في الإستناد إلى إفتراض وجود الحكمة والإتفاق في أفعال البارئ تعالى، وهو مذهب أفلاطوني في حقيقة الأمر، دان به مساعد عبد الله بن ميمون[بن] كذلك اتهم الرازي بأنه نقض مذهب الإبداء، أي الخلق من العدم ولذا أقام مذهبه في تفسير العالم على أساس مبادئ قديمة أبديه خمسة، مخالفاً بذلك جمهور المتكلمين، الذين يرون الخلق من العدم، وهذا ما جعل شيدر يتهم الرازي بأنه لا يهتم إلا قليلاً بالمحافظة على العقيدة الإسلامية"[تن] لذلك اتهمه الرازي بأنه توغل في العلم الإلهي دون أن يفهم غرضه الأسمى، فإضطرب رأيه، وذلك راجع إلى أن طبيعته لا ترتاح إلى الأنظار الفلسفية، واتهم بصلته بالحجاج (ت 309 هـ) ووصف بالفيلسوف الملحد[ين].

لذلك فالعقل عند الرازي هو أساس كل شيء لتبلغ به المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه فالعقل هو أعظم نعم الله علينا وأجداها، لأنه عن طريقة فضلنا على الحيوان غير الناطق، وأدركنا ما يرفعنا ويحسن به عيشنا حتى تصل إلى بغيتنا ومرادنا فإنا بالعقل أدركنا صناعة السفن وإستعمالها حتى وصلنا بها إلى ما تقع وحل البحر دوننا ودونه وبه نلنا الطب الذي فيه الكثير من المصالح لأجسادنا. فإذا

---

(1) الرازي: رسائل فلسفية عن زاد المسافرين لناصر خسرو ترجمة كراوس من الفارسية إلى العربية ص 257، وقارن كذلك يبنيس في مذهب الذرة 1946 ص56.

(2) البيروني: الفلسفة الهندية، تحقيق د/ عبد الحليم محمود مطبعة مخيمر، مصر ص 112.

(3) شيدر: نظرية الإنسان الكامل عن المسلمين ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي – النهضة المصرية، 1950 ص 40.

(4) صاعد الأندلس: طبقات الأمم مكتبة صليح مصر بدون تاريخ ص 71.

كان هذا مقداره فيجب علينا ألا نحطه عن رتبته ولا نجعله وهو الحاكم محكوماً عليه ولا وهو الزمام مزموماً ولا وهو المتبوع تابعاً بل يجب أن ترجع إليه الأمور كلها، ولا نسلط عليه الهوى الذي هو آفته لذلك يجب أن نذلل العقل ونجبره على الوقوف عند أمره ونهيه، وإذا فعلنا ذلك صفالنا غاية صفائه وبلغ بنا نهاية قصد بلوغنا به وكنا سعداء بما وهب الله لنا منه ومن علينا به.

وفي ذلك نجد الرازي متأثراً إلى حد كبير بأراء أفلاطون وأرسطو إلا أنه كانت له شخصيته المستقلة وأرائه الخاصة به والتي تميزه عن غيره والتي جعلته فيلسوف فريد من نوعه في ذلك الوقت لأنه كانت لديه القدرة على الإبتكار والتركيب ومعرفة أراء الآخرين وطرحها بطريقته الخاصة لذلك جاءت أرائه عن الألوهية مضطربة وقلقه، برغم إيمانه بوجود الله.

وجود الله عند أبي بكر الرازي:

يمكن القول أن وجود الله عند الرازي والاعتراف به وتقديسه هو غاية السيرة الفلسفية العظيمة، ومنهج المؤمن الحق فالله يتمثل عند الرازي في النظر إلى الكون وما فيه من نظام وترتيب دقيق يدل على وجود الله والإعتراف به، لذلك يجب على العقل أن يتفكر في آيات الله حتى يصل إلى إثبات وجود الله.

والرازي لا ينسى أن مشيئة الله تعالى فوق طب الأطباء حيث يقول بعد وصفة أحد الأدوية "إنه سيكون بليغ النفع بإذن الله عز وجل"(لخ).

ونجد فيلسوفاً الرازي يقدس الله تعالى تمام التقديس حيث نجده يبدأ بإسم الله عز إسمه عن الصفات وذلك قبل تناول دواء لتفتيت الحصى(بن).

وقد عالج الرازي ذات مرة رجلاً كان مصاباً بالجنون من الفكر وحب التفرد عن الناس وقد يدفع صاحبه إلى الإنتحار، وكان هذا المريض كثير التفكير في الله تعالى من أين جاء؟ وكيف ولد الأشياء؟ وقد طمأنه الرازي وعالجه وقال له "هذا فكراً يعم

(1) الرازي: الحصى في الكلى والمثانة تحقيق دي كوننج ط ليدن، 1896 ص 16

(2) الرازي: الفاخر في الطب تحقيق كوننج ط ليدن 1896 ص 114

العقلاء أجمع"[لخ] ولهذا يريد الرازي أن لا يغلق الإنسان عقله أمام البحوث الإلهية ويؤكد الرازي أنه عن طريق العقل نستطيع أن نميز بين الخير والشر وأن نبلغ جميع المنافع فهو يدعونا إلى ترك اللذات لأمور يؤثرها عليها والرازي يستطيع أن يتعرف ويستدل على وجود الله من العالم الموجود حوله فكل شيء مصنوع في الكون يدل على وجود صانع وهو الله سبحانه وتعالى، ودقة الصنع وترتيبه وإنسياق البعض إلى الآخر دليل على وجود إله، وصانع لهذا لكون وأن كل ما هي الكون حدث بفعل من الله وامره، وهذا يجعل الرازي يقول أن الله ليس علة للهيولي كما أن الهيولي ليست علة لله ولا أحدهما سابق على الآخر[ين].

إذ أنه لم يثبت سبق الصانع للمصنوع بدلالة المصنوع ولا يثبت سبق الهيولي للمصنوع بدلالة المصنوع الذي هو الهيولي لذلك لابد من عدم التسلسل إلى ما لا نهاية بل لابد من الوقوف عند علة واحدة ومبدأ واحد وهو علة العلل كلها وغايتها وهو الله جل شأنه مبدع هذا الكون.

وقد ألف الرازي كتاباً في أن للإنسان خالقاً متقناً حكيماً وبرهن على ذلك بشواهد من التشريح، على أن خلق الإنسان لا يمكن أن يقع بالاتفاق[تن].

لذلك يذكر الرازي في كتاب آخر له "إن الله تعالى" هو الخالق، جعل العظام عقد البدن ودعائمة[ين].

وقد استعان الرازي بالله تعالى، في تأليف بعض كتبه، فقال، وأنا فاعل ذلك، بمشيئة الله عز وجل، وإياه أسأل التوفيق لصواب القول والفعل، والكون على ما يرضيه، ويقرب إليه، ويدني منه[سم] فالرازي يقدس الله تعالى ويؤمن به ويخاف من

---

(1) الرازي: الحاوي في الطب: حيدر آباد الدكن، الهند طبعة أولى 955 ص 69

(2) فيصل عون: فكرة الطبيعة، في الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق ص 217

(3) ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء تحقيق نزار رضا بيروت، 1965 ص 421

(4) الرازي، المنصوري في الطب مخطوطه بدار الكتب المصرية ورقم 356 ضمن مجموعة رقم 4308 ل

(5) الرازي: منافع الأغذية ودفع مضارها ط ثانية، دار إحياء العلوم بيروت، 1984 ص9

عقابه ويرجو ثوابه في الدنيا والأخره، والدليل على ذلك نجده في الطب الروحاني في المقدمة يذكر "بسم الله الرحمن الرحيم" نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه[لخ].

فالله هو مالكنا ومشفق علينا ناظر لنا رحيم بنا يكره أن يقع بنا ألم، وأن جميع ما يقع بنا منه مما ليس من إكتسابنا وإختياراتنا بل مما في الطبيعة فا الأمر ضروري لم يكن بد من وقوعه[بن] ويحب فينا العلم والعدل، وهذا أصل من أصول سيرة الرازي الفلسفية، وأي إنحراف في الألوهية هنا، يمكن نسبته لهذا الرجل المؤمن الذي يوجب لله الكمال؟

ومن مؤلفات الرازي أيضاً حول عظم الله ووجوده:

"إنه لما كان البارئ عز وجل، هو العالم الذي لا يجهل، والعادل الذي لا يجور وكان العلم والعدل والرحمة بإطلاق، وكان لنا بارئاً ومالكاً، وكناله عبيداً مملوكين، وكان أحب عبيد الله جل وعز إليه أعلمهم وأعدلهم وأرحمهم[تن] ولو أن الناس جميعاً طبقواً هذا المنهج لا تنتشر الخير والسلام في كل مكان وقد ذكر الرازي في مقالة أخرى في كتابة السيرة الفلسفية قوله "ولواهب العقل الحمد بلا نهاية كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على المصطفين من عبادة[ين] والخيرات من إمائه".

ويذكر الرازي أيضاً في كتابه "برء الساعة" وإذا قد أتينا على ما قصدنا إليه، فنقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل[سم].

وفي مقدمة أخرى يقول: "والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب"[شم]

---

(1) الرازي: الطب الروحاني مصدر سابق ص 15

(2) الرازي: السيرة الفلسفية تحقيق كراوس مصر 1939 ص 101 وما بعدها

(3) الرازي: المصدر السابق ص 108

(4) الرازي: المصدر السابق ص 111

(5) الرازي: كتاب برء الساعة تحقيق د/ كيك بارس 1904، ط مصر، القاهرة، 1936 ص 13

(6) الرازي: المصدر سابق ص4

فهو يعتقد أن الله تعالى هو موفق الإنسان إلى فعل الصواب والخيرات حتى ينال الجزاء الحسن من الله تعالى ويقول الرازي في مقدمة أخرى "الحمد لله" رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخير معبود، وأجل محمود، واستعين به وأتوكل عليه"[لخ].

وقد أوصى فيلسوفنا الرازي، كل إنسان، بأن يديم على عبادة الله تعالى ويواظب على الطاعات، تكمل لك أعمالك، ويوفقك الله تعالى لما تأمله وترضاه، إنه شاء الله رب العالمين وبه الحول والقوة[بن] ونجد الرازي أيضاً في معاملته مع الحكماء أكثر من الدعاء لله تعالى راجياً منه توفيق الحكام مثل قوله "أكمل الله للأمير السعادة" أطال الله بقاءه "أيده الله" أدام الله عزه[تر].

فالله منزه عن كل شيء في الكون "إذ ليس بذي لذه ولا شهوة"[يز] والرازي يتفق مع مع الدين وشرعيته في أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ما وضع الله على العباد التطهر على هذه السبل إذ كان ذلك مما ليس في وسعهم وقدرتهم[سم].

وعلى الإنسان المؤمن الفاضل المؤدي لفرائض الله أن يهاب الموت لأنها قد وعدته الفوز والراحة، والوصول إلى النعيم الدائم[شم].

والرازي يطالب الإنسان بالسعي لنيل رضا الله والبعد عن سخطه بألا يرتكب الكبائر، كما يفعل أولاد الملوك، وألا يؤلم نفسه كما يفعل الرهبان، من حرمان أنفسهم من بعض الطيبات[لم].

ويرى الرازي أن الله سبحانه وتعالى عالم السر وأخفى، ولذلك فهو يخشى من إطلاعة على نيته، ومن أجل ذلك، فقد إتخذ الخلاص لله منهجاً وسلوكاً قويماً،

---

(1) الرازي: سر الأسرار تحقيق محمد تقي إيران 1964، ص 118

(2) الرازي: سر الأسرار مصدر سابق، ص 116

(3) الرازي: الطب الروحاني مصدر سابق، ص 15

(4) الرازي: المصدر السابق: ص 25

(5) الرازي: المصدر السابق ص 80

(6) الرازي: لمصدر السابق ص 96

(7) الرازي: السيرة الفلسفية مصدر سابق ص 107

حيث نجده خلال حياته لم يتقرب إلى أمير أو حاكم، طلباً لمال أو سلطان، بل كان إما معالجاً له وإما ناصحاً ويذكر:

"يعلم الله ذلك مني"(لخ)

فالرازي يمجد الله تعالى، معترفاً له بالكمال، ومنزها له عن كل نقص، فهو القدرة والعلم والرحمة الواسعة بالعباد فما أثار خصوم الرازي عليه هو قوله بقدم العناصر، ولكنه ذكر أن هذه العناصر عنده قديمة بقدم علتها، وهو الله سبحانه وتعالى فهذه التهم أملاها الحقد والغيره من هذا الرجل ذا المنزلة الرفيعة لا تباري في بلاط الحكام(بن).

فيذكر الرازي "أن الحكمة دالة على حكيم حكمها، والخلق على خالقها، لا إله إلا هو"(تن) فحكمه الله اقتضت أن يكون في الكون عالم كبير وهو الدنيا، وعالم صغير وهو الإنسان، لأنه مشتق من العالم الكبير، لأن الإنسان يساوي كونً قائماً بذاته.

ويقول الرازي: أن الله أخرج الأشياء من عدم إلى رسم، ومن بهم إلى فهم ومن لا شيء إلى شيء(يز) وهو موافق لقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ُّ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ّ

وأخيراً يتضح من ذلك كله أن الرازي كان ذا عقيدة سليمة من خلال سيرته مع الفقراء، والمرضى والأمراء، وكان يعترف بالوحدانية حتى يصل إلى سواء السبيل، وكما ذكر لنا الصوفية أن الصوفي وإرادته نحو الله تعالى تتلاشى وتذوب في إرادة الله

(1) الرازي: المصدر السابق ص 110

(2) عبد الله نعمة: فلاسفة الشيعة، حياتهم وأرائهم طبعة بيروت 1930 ص 430

(3) الرازي: المدخل الصغير إلى الطب: مخطوط بدار الكتب المصري ورقة 106 ب، ضمن مجموعة مجموعة رقم 1308 ل.

(4) الرازي: المصدر السابق، ورقة 106

حتى أنه يكون قد وصل إلى حالة من الزهد والفناء في الله الواحد ولا يفكر شى سواه وما عدا ذلك يعتبره الصوفي من ملذات الدنيا(لخ).

فالرازي يرى أن الله سبحانه وتعالى، لا يمكن أن يعرف إلا عن طريق صفاته"(بر).

لذلك وجدنا بعض المنصفين يصفه بأنه كان مسلم النحلة،(تر) وترحم عليه آخرون بعد ذكرهم لتاريخه، إعترافاً منهم بإستحقاقه للمغفرة والرحمة(بر).

الصفات الإلهية عند الرازي:

كان الرازي مؤمناً بالله تعالى وبجميع صفات الكمال التي تليق بذاته المقدسة، وكان مؤمناً كذلك برسله وأنبيائه وتعاليم دينه، مبغضاً للدهرية، وأصحاب المذاهب المنحرفة والمتزمته، وأول صفات الله عند الرازي هي:

أن الله قديم أزلي:

يمكن القول أن الله عند الرازي قديم؛ لأنه سبب هذا العالم وإن لم يكن قديماً لكان حادثاً ولو كان ذلك لافتقر إلى سبب آخر، ويتسلسل إلى غير نهاية، وهذا مستحيل لأنه لابد من وقوفه عند علة واحدة وهي علة العلل كلها وغايتها وهي الله خالق العالم ومسيرة.

فصفة القدم تعني أنه غير مسبوق بعدم إلى مالا نهاية ودليل الرازي على قدم البارئ عز وجل "أنه لابد من إنتهاء الممكنات إلى مؤثر واجب لذاته، وهذا الواجب لا يمكن أن يكون حادثاً، وإلا أفتقر إلى محدث، وهذا يلزم عنه التسلسل، وهذا غير وارد"(سم).

---

(1) أبو الوفا النفتازاني: دراسات في الفلسفة الإسلامية ط أولى مكتبة القاهرة الحديثة 1957 ص 75.

(2) د/ محمد كمال جعفر: من التراث الصوفي ط 1 دار المعارف، القاهرة 1974، ص 242

(3) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد أحمد، القاهرة، 1955، ص 77

(4) مجلة المقتبس: مجلد 3 جـ 10 مصر 1908، قصيدة معروف الرصافي ص 608 جالينوس العرب

وكان سليماً في العقيدة قبله ... بعيداً عن الإلحاد ليس بمحتال

وخل تفاصيل الآلي ينسبونه ... لزيغ فقد أغنالك عنهن إجمالي

(5) الرازي: القول في القدمي الخمسة ص 213، وما بعدها

obeikandl.com

فالله واجب لذاته، لأنه يلزم من فرض عدم المحال، وكل ما كان كذلك كان واجباً لذاته.

أن الله تعالى تام:

يقول الرازي في القدماء الخمسة أن الله تام العلم والحكمة لا يعرض له سهو ولا غفلة ويفيض عنها العقل كفيض النور عن القرص فهو يعرف الأشياء معرفة تامة[لخ].

فهو تام لأنه قديم وآزلي، وعالم بجميع الأشياء التي تدور حوله، ولا يغفل عنها ولو للحظة، فهو تام الحكمة لأنه يفعل كل ما هو أفضل وأحسن للعباد، ويفيض على المواد من الصور ما هو اليق بها، ويستمدها له الأغراض ومصالح لا على سبيل العبث ولا على سبيل السهو والغفلة بل نجد جميع أفعاله معللة بالمصالح والحكمة والمراد من لفظته التمام هو أنه تام العلم والحكمة، وأنه بلغ النهاية التي لا يمكن أن يكون فوقها ولا بعدها مرتبة أخرى.[بر]

فالله تعالى عالما بحقائق الأشياء، وماهيتها على سبيل التمام والكمال ففيضان الله تعالى على هذا الجوهر ليس على سبيل القصد والاختيار بل على سبيل الايجاب الذي صدر عن الله قصداً وما عداه صدر عنه تعالى بواسطة بناء على أن الواحد حقاً لا يصدر عنه إلا الواحد، فالله تام وكامل وفعله تام وليس ناقص وإرادته ثابتة له، فهو علم كل حياة، وهذه هي حالة الله تعالى كل ماله فله دفعة واحدة فأراده الله صنعت كل شيء لها في الأزل وكذلك علمه أزلي أبدي.

أن الله تعالى رحيم وعادل ورؤوف:

يذكر فيلسوفنا الرازي أن الله تعالى قريب من عبادة ناظر لنا رحيم بنا يكره،ويحب، وهو العادل الذي لا يعاقب إلا عن سيئة، وإذا عاقب فبمقدار هذه السيئة ويتضح ذلك في نص الرازي: "أن الله هو المالك لنا، والذي منه نرجو الثواب، ونخاف العقاب ناظر لنا رحيم بنا، لا يريد إيلامنا، ويكره لنا الجور والجهل، ويحب منا العلم والعدل"[تر].

---

(1) الرازي: المصدر السابق ص 203 وما بعدها

(2) الرازي: القول في القدماء الخمسة مصدر سابق ص 203

(3) الرازي: السيرة الفلسفية مصدر سابق ص 102

فالله هو العلم والعدل والرحمة وبلإطلاق، فالرحمة توجب محروماً وهو بالتالي يحتاج إلى الرحمة، فالرحمة التامة هي إفاضة الخير على المحتجين وإرادته لهم، وعنايته بهم فالله تعالى رحمته واسعة لعباده الصالحين المحتاجين، واما الرحمة العامة فهي التي تتناول المستحق وغير المستحق، فرحمة الله فينا تامة وعامة، فالله عادل ورؤوف رحيم لا يصدر منه الظلم فالله يحب الخير لعباده ويكره الشر لهم.

4 -أن الله حي قادر:

يذكر الرازي: أن قدرة الله على كل شيء وكذلك علمه بكل شيء محيط به يثبت له الحياة الأزلية.

ويذكر لنا الرازي في مقالته فيما بعد الطبيعة "أن أكثرهم أنكر علينا أن الله عز وجل ركب الإنسان والله حي قادر لا تمم زعموا لم يشاهدوا ولا عقلوا حياً ركّب حيواناً، وزعمتم أنتم الذي ركب موات عاجز[لخ] لذلك فكل فعل محكم من قادر حكيم يفعل كل شيء بإقتدار ونظام والعالم ممكن ومنظم، فهو إذن صادر من فاعل قادر وحي فالله حي يعلم نفسه وذاته، ويعلم غيره حتى يسير العالم بقدره معلومة تدل على أن جميع المقدروات حياً.

5 - أن الله خير محض:

يذكر الرازي في مقاله "سر الأسرار" الحمد لله رب الأرباب، ومسبب الأسباب، الخير المحض، أجل محمود، استعين به أتوكل عليه[بر] فالله خير محض، لأن فالخير يسعى إليه كل كائن حي ناطق ويتم وجوده به، والشر في حقيقته لا ذات له، بل هو عدم صلاح حالة، فالله كله خير عكس الإنسان الذي فيه الخير والشر، بالخير موجود بالذات، والشر موجود بالعرض وما دام الله خير ويحب كل عمل خير فهو

(1) الرازي: مقالة فيما بعد الطبيعة، مصدر سابق ص 119

(2) الرازي: سر الأسرار، مصدر سابق، ص 118

عاشق ومعشوق عاشق لنفسه ومعشوق لذاته فالله مصدر كل خير، ويفيض كل خير، لذلك فالخير والجمال والحق معا تعشق ذاتها[لخ].

6 - الوحدانية:

يقول فيلسوفنا الرازي: أن الله واحد لا شريك له[بر] فالله تعالى تام وبسيط حكيم بكل شيء، واحد من كل وجه لأن الوحدانية هي نفي الشرك عن الله في الألوهية، وهذه الوحدانية يثبتها العقل ويقتضيها واجب الوجود فالله واحد بالعدد وبالذات وواحد في فعله وعمله لا ينقسم فالله حكمه وحكمته هي إرادته الثابتة في أفعال عبادة، فهو واحد تام، وذاته ليس فيها كثرة بوجه من الوجوه.

7 -لا مثل له ولا ضد:

أي لا يمكن تشبيه الله بالإنسان فهو منزه عن مماثله الإنسان ليس كمثله شيء في الوجود.

"إذ ليس بذي لذة ولا شهوة[تر]" فهو نمو التام القادر على كل شيء في الوجود، ولا يعتريه العجز والنقصان[بر] فقدره الله وسعت كل شيء في الوجود لذلك فالله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، ولا يعتريه أي شيء في الوجود فهو الكامل.

العناية الإلهية عند أبي بكر الرازي:

يمكن القول أن موضوع العناية الإلهية يرتبط إرتباطاً وثيقاً بموضوع الصفات الإلهية، والتي تبحث جذورها في البحث عن الخير والشر وعلاقتهما بالوجود.

فالله تعالى عند الرازي كما أشرنا سالفاً هو أزلي وتام الحكمة، قادر على كل شيء في الوجود ولا يخفي عنه أي شيء في الوجود، فهو الرحمة والعدل فالخالق معنى بخلقه مدبر له، وإلا خالف الحكمة والطبيعة[سم]".

---

(1) توفيق الطويل: أسس الفلسفة دار النهضة العربية، الطبعة السادسة، القاهرة 1976 ص 380.
(2) الرازي: المدخل الصغير إلى علم الطب مخطوط سابق ص 106
(3) الرازي: الطب الروحاني مصدر سابق ص 25
(4) الرازي: المناظرات مصدر سابق ص 303
(5) يوسف كرم: الطبيعة وما بعدها، طبعة ثانية، دار المعارف المصرية، القاهرة ص 168.

لذلك فالله تعالى يفعل كل شيء بحكم ونظام متقن، فكل شيء في الوجود كما بعلمه وتدبره، وليس مصادفه، فهو في ذلك يراعي مصلحة الإنسانية، ويهيء لكل موجود على الأرض الصورة الصالح له، والتي تؤهله لعمل الخيرات، لذلك لزم على الله أن يهيئ النفس للخلاص حتى تصل إلى اليقين والطمأنينة، فالله جل شأنه سوى الموجودات على أكمل وجه وأحسن حالة حتى تشتمل على المنافع والمصالح العامة فيما بينها فعلم الله محيط بكل ما يحدث، وسوف يحدث مستقبلاً، فالله كما وضح الرازي علة للخير والكمال والحق، ولا يصدر عنه إلا الخيرات، لأن ماهيته تقتضي ذلك، علة الخير بسبب ماهيته أما الشر فوجوده يكون عرضي فالله صدر عنه الخير الله صدر عنه الخير والشر معاً لان الأبدان والمادة صادرة منه ذاتها مشتملة على نوع من الفساد، وهذه الأضرار لا يمكن إزالتها، لأنها مرتبطة بالمادة، فالنار لا تكون ناراً إلا إذا حرقت ما يلقي فيها من أجسام، وأشياء قابلة للإحتراق.

فالمادة هي سبب الشر في هذا الوجود، لإننا لو كنا أرواحاً خالصين بما عرفنا الشر ولما أرتكبناه، فأصل الوجود هو الخير، أما الشر فهو شيء ثانوي أو عارض لذلك فالخير هو الوجود بالذات، والشر هو الوجود بالعرض، فالشر موجود في هذا العالم ولكن ليس بأكثرية، فمثلاً حالة مثل حالة النار كثيرة، وفوائدها كثيرة ونستطيع أن نحصل فيها على الخير على الرغم من شرورها ومضارها.

فالخير هو الوجود أما الشر فلا وجود له، لأن الشر بالذات هو العدم، والشيء العدم لا وجود له، لأنه لو كان للشر بالذات وجود كما كان للخير لما كان هناك وجود، لأن الشر يسلب كل شيء خير في الوجود، لذلك يمكن القول أن الشر أمر نسبي يأتي نتيجة نقصاً في الخير، وعدم الإيمان بالله تعالى، لان العلل أفضل من المعلول، فالله هو أفضل الموجودات، ويصدر عنه كل شيئ خير فيه الصلاح للبشرية، أمام الشر فهو أمر غير مقصود، ولكنه أمر فرضه نظام الكون وترتيبه فالله نجده قد أوجد الافلاك المدبرة والإنسان والحيوان وإختار فيها شر قليل، وخير كثير، لأنها قابلة للتغير، وحتى لا يكون قد أفرط في الخيرات أكثر من الشرور لذلك أراد هنا الرازي أن يظهر عناية الله الفائقة نحو عبادة، وأنه يريد بهم الخير، وترك الشرور حتى ينال الإنسان الثواب في الدنيا والآخرة معاً.

آثار فكرة الألوهية عند أبي بكر الرازي

تمهيد:

على الرغم من أن فيلسوفنا الرازي أثبت وجود الله، وصفاته المنزه عن كل شيء، إلا أن بعض الباحثين وجدوا فيه جانباً إلحادياً متمثل في فلسفته، لأنه خاض في مسألة الألوهية والبحث عن الذات الإلهية وقد عبر عنه في كتابه "العلم الإلهي" ثم في كتابه مخاريق الأنبياء ولكنه يظهر جلياً، وواضحاً في المناظرات التي جرت بينه وبين أبي حاتم الرازي في كتابه "أعلام النبوة" حول إتهام الرازي بإنكار النبوه، وأن البشر متساويين في كل شيء سواء من حيث التفكير أو الذكاء والفطنه، لذلك ليس هناك داعي لوجود أنبياء يرشدونهم إلى الخير، لأن العقل يستطيع أن يميز بين كل هذه الأشياء، كما أنه إتهم بإنكار الأديان السماوية بوصفه أنكر النبوات من قبل، وأخيراً لم يخلوا نقده ومجادلته حتى نصل إلى الكتب المقدسة المنزلة من السماء وأمعن فكرة فيها.

إنكار الرازي نظرية النبوة

إن الإيمان بالنبوة أمر واجب النفاذ، لإرتباطه بالإيمان بالله تعالى، وعلى المؤمن أن يعترف بأن محمد (ص) رسول الله، بالإضافة إلى اعترافه بالكتب والأنبياء من قبل.

فقد إتهم الرازي بأنه ينكر النبوة تماماً مثل ما فعل ابن الروندي والمعري والبراهمة، وقد ذكر بعض الباحثين أن إنكار الرازي للنبوة بسبب إختلاط المسمين بالعناصر الأجنبية(لخ).

ويحكي لنا المطهر الحلي نقده لمخاريق الأنبياء هذا بأنه:

"المفسد للقلب، المذهب للدين، الهادم للمروءة، المورث البغض للأنبياء صلوات الله عليهم"(بر).

---

(1) د/ توفيق الطويل: الأحلام، ط أولى، القاهرة، 1945 م ص 105

(2) د/ عبد العزيز عزت، ابن مسكويه ص 30، وأنظر كذلك ادم منز، الحضارة الإسلامية في القنر الرابع الهجري، ترجمة د محمد أبو ريده، مصر 940، ص 328

لكن على العكس من يقرأ كتابة الطب الروحاني لا يجد فيه الإصلاح للقلب والدين والمرؤة ولكها أمور سامية تحث على النبوة.

فالاتهامات التي وجهت إلى الرازي كانت على أساس إيمانه بالعقل[لخ] ولا ينكر الرازي، أن يكون إمام ومأموم، ففي ذلك مصلحة البشر، وهو نفسه قد استفاد من السابقين وتجاربهم، وأوجب على الإنسان إتخاذ مرشد عاقل يعرفه عيوبه[بر].

فلم يكن الرازي بالجاهل، الذي يرى المعرفة للسابق، من أجل سبقه، أو يوقف الصواب على رجل نال منصباً، حتى ولو كان إماماً إسماعيلياً إذ كان البحث والنظر والإجتهاد يوجب الزيادة والفضل[تر].

ومع ذلك نجد أن أقوال الرازي مثلت أعنف حملة وجهت إلى الدين والنبوة ظلت طوال القرون الوسطى، وهذه الحملة أثارت الأوساط الإسلامية وكانت متمثلة في أبي حاتم الرازي وغيره، لأن هذ الحملة كان لها أثراً اجتماعياً عنيفاً على المجتمع بأسره فالرزاي يقول بتناسخ الأراوح الذي عرفت به السمنية من الهنود ويتشبع للمانوية الذين كانوا يدرسون في غير ملل الإسلام ومبادئه، ولا يبعد أن نكون قد وقف على نقد الإغريق للديانات على اختلافها، وسواء كان الرازي متأثراً بعوامل أجنبيه أم معبراً عن أرائه الشخصية، فإنه يصرح بأن الانبياء لا حق لهم في أن يدعوا لأنفسهم ميزة خاصة، عقلية كانت أم روحية، فإن الناس جميعاً عنده سواء، وعدل الله وحكمته تعالى تقضي بألا يمتاز واحد على آخر.

أما المعجزات النبوية فهي ضرب من الأقاويل الدينية أو المهارة التي يراد بها التضليل، والتعاليم الدينية متناقضة، يهدم بعضها الآخر، ولا تتفق مع المبدأ القائل إن هناك

---

(1) أبو الفدا: المختصر في إخبار البشر، طبعة أولى المطبعة الحسينية، مصر 5، 13ن ص 61 كذلك د/ عبد الرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد في الإسلام، النهضة المصرية، القاهرة 945، ص 209، ومابعدها.

(2) الرازي: الطب الروحني، مصدر سابق ص 34

(3) الرازي: المناظرات مصدر سابق، ص 301

حقيقة تابعة، ذلك لان كل نبي يلغي رسالة سابقة، وينادي بأن ما جاء به الحق، ولا حق سواه، فالناس في حيرة من أمر الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع.

ويذكر الرازي: الأولى بحكمة الحكيم، ورحمة الرحيم أن يلهم عباده أجمعين، معرفة منافعهم، ومضارهم في عاجلهم وأجلهم، ولا يفضل بعضهم على بعض، فلا يكون بينهم تنازع، ولا إختلاف فيهلكوا، وذلك أحوط لهم من أن يجعل بعضهم أئمة لبعض فتصدق كل فرقة أمامها، ويكذب غيره، ويضرب بعضهم البعض، ويعم البلاء والكرب، ويملكوا بالتعادي(لخ) فالأولى بحكم الحكيم أن يتركهم كما قد خلقهم، فيدبر كل منهما أمره بما هو أصلح له، على ما عليه القفصي لاقاطنون بجبال كرمان، وأمثالهم في أقاصي البلاد في إستعمالهم فيما بينهم في المناكحات، والشري، والبيع والمعاملات والأخذ والعطا.

لذلك لابد من حكمه الحكيم من تخصيص الأنبياء من بين العالمين بالفضيلة وتقديمه عليهم، لا من وجه واحد بل من وجوه، منها أن التخصيص أمر به تصح حكمه من أن يكون حكيماً، إذا الحكيم إنما يكون ما يصدر عنه إلى الوجود من الأفعال التي هي أحد أقسام الحكمة، وكل موجود منها هو غير الآخر على الغاية حبكاً ونظاماً وجودة صنعة إحكاماً.

ولما كانت أفعال الحكيم لا يصح وجودها إلا بالتخصيص ويمتنع ثبوتها إلا به كان من ذلك الحكم بوجوب التخصيص من الحكيم، لوجوب التخصيص من الحكمة وكونه منها وعنها واجباً(بن).

فالله تعالى حكيماً، ومن حكمته فيما خلق أن خص كل جزء من أجزاء العالم المحسوس بأمر من الأمور لم يخص به غيره، كالشمس التي هي جزء من أجزاء العالم قد حضها بالنور، وفضلها على القمر، والقمر على غيره من الكواكب عظماً ونوراً، وكالذهب من المعدنيات وتفضيلة على الفضه وغير ذلك وكنوع البشر الذي خصة بالتعقل وشرفه على أنواع البهائم، كان من ذلك الحكم القاطع بوجوب تخصيص من

---

(1) أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة، مجلة مشرقيات، روما 1936 ص 38

(2) نفس المصدر السابق ص 413، وما بعدها

يجعله من نوع البشر نبياً ورئيساً بالفضيلة، ويحوج الناس إليه كما فعل في غيره، وهو الذي توجبه الحكمة.

فالله قد خلق نوع من البشر عاطل من المعارف والمعالم، كما قال في كتابه الكريم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾[1]

كذلك خلق نوع من البشر محباً للرئاسة، والظلم والقهر ومحباً للمال لذلك كان، ولابد من وجود إمام يؤيدهم ويعلمهم منافعهم ومضارهم ويحفظ نظامهم.

وهناك مناظرة حدثت بين أبي حاتم الرازي، والطب الرازي حول إنكار الرازي لنظرية النبوة، وذكر أن أبي حاتم الرازي قد سأله هل يستوي الناس في العقل والفطنه والهمم أم لا؟ فرد عليه لو اجتهدوا في أعمالهم واشتغلوا، لاستووا في الهمم والعقول فقال له أبي حاتم كيف تجيزو ذلك؟ وإنا نرى أن الناس على طبقات وتفاوت في المراتب، ولست تقدر على دفع ما اتفق الناس عليه أن يقولوا: فلان أعقل من فلان وفلان عاقل وآخر أحمق وأخر أكيس من فلان وأخر لطيف اطبع وفلان غليط الطبع، ومن دفع هذا فقد كابر وعاند، فكل طبقة من الناس فيها الفاضل، ومفضول، وعالم ومتعلم، ولا نرى أحد يدرك شيئاً من الأمور بفطنته، وعقله إلا بمعلم يرشده، ومعاون يرجع إليه، ثم يحتذى على أمثاله، ويبني عليه أمره، وهذا لا مريه فيه، ولا يقدر أحد على دفعة، لأن أفعال الناس تحتاج إلى بعضها حتى نتعلم من بعض، فيكون فيهم عالم ومتعلم إمام، ومأموم في الأمور الدينية، والدنيوية كما نشاهده عياناً فالله سبحانه وتعالى قد خص البشر بأن يكون بينهم عالم ومتعلم، فاضل ومفضول، ليقوم الأمر والنهي، وتظهر الطاعة والمعصية، ويثبت الاستعباد، ويقع الثواب، والعقاب على حسب ما يكون من أعمالهم بإختيار لا إجبار.

ودعوى الرازي هنا فيها نقض على نفسه، حين زعم أنه أدرك بفطنته، ودقة نظرة مالم يدركه الكثير من الفلاسفة القدماء، وهم كانوا له أئمة، في أصولهم نظرت،

---

(1) سورة: النحل: آية 78

وفي كتبهم درست، فكيف تزعم أن الناس متساويين، ولا يحوج بعضهم إلى بعض ثم تنقض ذلك، وتقول أن أفلاطون كان إماماً لأرسطو طاليس، وأن أرسطو ليس كان تلميذا له، لذلك لابد من وجود قوم يصطفيهم الله سبحانه وتعالى برحمته من خلقه حتى يجعلهم رسلاً، ويؤيدهم بالنبوة، ويعلمهم بوحي منه ما ليس في وسع البشر أن يعلموه الناس ويرشدوهم إلى ما فيه صلاح أمور دينهم.

فالرازي يؤكد على قيمة العقل وفضله علينا، فقد حبانا الله بقيمة العقل لتنال به المنافع العاجلة والأجلة، فهو أعظم نعمة من عند الله، حبانا الله بها، فعن طريق العقل أدركنا كل شيء حولنا ينفعنا، ويطيب به عيشنا، وبه وصلنا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى الذي هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أحبنا فلابد وأن نعظم العقل، ونرفع من قدره وشأنه، فهو الحاكم محكوماً عليه، ولا هو الزمام مزموماً، ولا هو المتبوع تابعاً، لذلك ترجع إليه الأمور كلها نمضيها على إمضائه ونوقفها على إيقافه(لخ).

ويواصل الرازي إنكاره للنبوة في كتابه المخاريق الأنبياء، والنزاع بينهما فيذكر أن عيسى زعم أنه ابن الله، وزعم موسى أنه لابن له، وزعم محمد أنه مخلوق كسائر البشر، وزعم محمد أن المسيح لم يقتل، والهيود والنصارى تنكر ذلك وتزعم انه قتل وصلب(بر).

من هذا التناقض أتخذه الرازي دليلاً على بطلان النبوة، لأن النبوة في أصلها تقوم على أساس الإلهام والوحي من الله تعالى فمادام المصدر واحد فالواجب أن يتخذ القول الصادر عنه، وإلا نسبنا التناقض والإضطراب إلى الله تعالى وهذا مستحيل عن الله الحكيم، فالتناقض بين الأنبياء يدل على أن النبوة باطلة.

وهناك بعض الأسس التي ذكرها الرازي لإنكار النبوة متمثلة في أن العقل وحدة يكفي لمعرفة الخير والشر في حياة البشر وكاف لمعرفة أسرار الألوهية، وتدبير أمور المعاش، وطلب العلوم والصنائع، فما الحاجة إذن إلى قوم يختصون بهداية البشرية؟

---

(1) الرازي: رسائل فلسفية، مصدر سابق ص 17، وما بعدها.

(2) أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة، مصدر سابق، ص 362.

لا يجب تفضيل بعض الناس على بعض، وإختصاص الله إياهم بإرشاد الناس، فالكل متساويين في العقول والفطنه، والتفاوت هنا ليس في المواهب الفطرية والاستعدادات، وإنما في تنمية المواهب وتنشئتها على أسس علمية سليمة.

والأمر الثالث أن الأنبياء متناقضون فيما بينهم، وما دام مصدرهم واحد وهو الله فيما يقولون، فإنهم لا ينطقون عن الحق وبالتالي فالنبوة باطلة.

وكباحث أرى أن الأسس التي ذكرها الرازي غير سليمة لا من الناحية الدنيوية، ولا الدينية في إنكاره للنبوة، لأن الأساس الأول الذي ذكره بخصوص العقل وأنه هو القوة الوحيدة لمعرفة الخير والشر فيه إنتقاد، لان هناك بعض الناس الذين يستخدمون عقولهم في عمل الشر، لذلك وجب وجود أنبياء، وهو أنكر ذلك.

ومن ناحية أنه زعم أن الناس متساويين هذا غير صحيح، لأنه كل فرد في الوجود له قدراته العقلية، ومواهبه التي تميزه عن غيره من البشر فهناك تفاوت بين الأفراد، لذلك وجب أن يكون هناك إماماً معصوماً من قبل الله يرشد هؤلاء الناس عن أمور دينهم، لأن البشر إذا كانوا متساويين كما زعم الرازي، سوف نجد أن جميع البشرية منذ الخليقة فئة واحدة متساوية سواء في الخير أو الشر، ولا تستطيع أن تميز بين الذكي، وبين الغبي، بين الذي يستطيع أن يستخدم العقل في فعل الثواب، وبين الذي يستخدمه في فعل المعاصي.

أما تناقض الأنبياء فيما بينهم كما ذكر الرازي، فهذا غير وارد، لأن كل رسول جاء برسالة من الله، ونشرها كما يجب، حتى ختمت بخير الرسل، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يكون الرسل متناقضين فيما بينهم كما ذكر الرازي، وهم من قبل الله، ويفعلون ما يأمرهم به.

وعلى الرغم من كل ذلك إلا أن الرازي اعترف بالنبوة، ويظهر ذلك جلياً في كتاب لابن النديم، ذكر أن هناك كتاب للرازي، يفهم منه أن الرازي يدافع عن النبوة والأنبياء وعنوانه "فيما يرد به إظهار ما يدعي من عيوب الأنبياء"[1] .

---

(1) ابن النديم: الفهرست، مصدر سابق ص 419.

ونجد أيضاً ابن أبي أصيبعة، يدافع عن الرازي بشدة، وفكر صحة نسبة "مخاريق الأنبياء إلى الرازي، ويقول:

"هذا الكتاب إن كان قد ألفه، والله أعلم فربما أن بعض المعادين للرازي، قد ألفه ونسبه إليه ليس إليه الظن، وإلا فالرازي أجل من أن يحاول هذا الأمر"(لخ).

وهذا يؤدي إلى التسليم، بأنه الرازي لم ينكر النبوه، ولم ينكر الشرع، فهو يبشر الذين عملوا الخيرات، بجنات نعيم، لذلك ليس هناك داعي للخوف من الموت، ولقاء الله ويذكر:

"يجب الا نخاف من الموت، الإنسان الخير الفاضل، المكمل لأداء ما فرضت عليه شريعة الله، لأنها قد وعدته الفوز والنعيم الدائم(بر)".

والرازي يحذر الإنسان من السكر، لأنه يفقد الإنسان إدراك ما حوله من مطالب دينية، لذلك فهو إنحطاط لبني الإنسان(تر).

ومن يهتم بالجانب الروحي في الإنسان هكذا لا يمكن أن يكون ملحداً، فكيف يكون الرازي مؤمن بالشرائع، وينكر النبوة والأنبياء؟ لأن الذي أتى بالشرائع والأمور الدينية هم الرسل والأنبياء.

وهناك مقولات للرازي تؤكد اعتقاده بالنبوة والأنبياء حيث يقول صلى الله عليه وسلم على خير خلقه، محمد النبي وآله(بر).

فالرازي يرى الأنبياء بشراً، وإذا قد حدث نوع من العشق لبعضهم، فهو هفوه لا يجب الاقتداء بهم فيها، بل يجب الاقتداء فيما أحسنوه، ودعوا إليه لا فيما ندموا عليه ويقول في ذلك أنه ليس من احد يستجيز أن يعد العشق منقبه من مناقب الأنبياء، ولا فضيلة من فضائلهم، ولا أنه شيء أثروه واستحسنوا بل إنما يسعد هفوه، وزله من

---

(1) ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق. ص 426

(2) الرازي: الطب الروحاني: مصدر سابق ص95 وما بعدها

(3) المصدر السابق، ص 72 قما بعدها

(4) الرازي: سر الأسرار مصدر سابق، ص 118

هفواتهم وزلاتهم، وإذا كان كذلك، فليس لتحسينه وتزيينه، ومدحه وترويجه، بهم وضربته لانه إنما ينبغي لنا، أن نحث أنفسنا ونبعثها من أفعال الرجال الفاضلين على ما رغبوه لأنفسهم، واستحسنوه لها، وأحبوا أن يقتدي بهم فيه، لأعلى هفواتهم وزلاتهم، وما تابوا منه، وندموا عليه، وردوا ألا يكون ذلك جرى عليهم، وكان منهم[لخ].

ويتفق هنا الرازي مع التستري الصوفي حول هفوة الأنبياء، وكونها أمر نسبي، ويقول الدكتور كمال جعفر في شرح رأي التشتري أن "هفوة الأنبياء" تعبير ذاتي، وإفصاح شخصي، مراد لله تعالى، لحكمة يعلمها الله ولا تنال هذه الهفوة من كمال الأنبياء مطلقاً، بل أنها حافز على زيادة هذا الكمال الروحي، عن طريقة التربية الإلهية الجليلة، ذات الأهداف السامية[بر].

فالدوميلي، كان على حق حين ذهب إلى أن الرازي نسبت إليه أمور، وأقاويل ظلماً، وهو برئ منها[تر].

لذلك نجد عند الرازي شطحات وأفكار راودته لسعة فكرة، وإطلاعه المتصل على الكتب، مثل مانجده عند بعض المفسرين من أقاويل خاصة بغرام الأنبياء، ولا تتفق وهيبه النبوة، وسموا الرسالة المكلفين بها مثل قص داود، مع زوجة قائدة، وهي فرية نبرأ إلى الله تعالى منها.

فالنبوة هي وسيلة اتصال بين العالم الأرضي الدينوي، وعالم السماء عالم الخلود، لذلك لابد من الإندماج في العالم الروحي أكثر من العالم الجسد المادي، الفاني لأنه عن طريق التأمل والنظر يستطيع الإنسان ان يرتقي إلى درجة الإيمان، وأن تتقبل الأنوار الإلهية، فنحن لا نصل إلى السعادة القصوى إلا بالتأمل والفكر، الإيمان في ما أبدعه الله في مخلوقات على الأرض، وبالأخص الإنسان خير مخلوق على الأرض.

---

(1) الرازي: الطب الروحاني: مصدر سابق ص 45

(2) د/ محمد جعفر، التراث الصوفي، مرجع سابق ص 294

(3) الدوميلي: العلم عند العرب وأثره في تطوير العلم العالمي ترجمة د/ عبد الحليم النجار، دار العلم، القاهرة، 1962، ص 488

نقد الرازي الأديان السماوية:

يتابع الرازي نقده للأديان المنزلة، كنتيجة لإبطال نظرية النبوة، وهذا النقد يتناول الأديان السماوية دون تمييز، ودون أن يحمل عليها بإسم مذهب معين، لذلك فنقد الرازي لم يكن ينصب على مذهب ديني معي، ولم يكن متوجهاً إلى الإسلام وحده، ولكنه تناول الأديان الرئيسية واحداً بعد واحد.

فيذكر عن اليهودية أنها ذكرت أن موسى قال بأن الله قديم غير مصنوع ولا مؤلف، وأنه لا تنفعه المنافع، ولا تضره المضار، مع هذا فإن في التوراة يوضع الشحم على النار لترويح شمة "في الأصل الرب سبحانه أن يوضع الشحم على النار ليشم الريح منه الرب"(1 لخ)

فكيف توفق بين هذين الرأيين المتناقضين: القول بثبات الله، وعدم تأثره بشيء، والقول بأن الله يتأثر بالروائح؟ كذلك في التوراة ما يتناقض القول بأنه قديم، غير مصنوع ولا مؤلف إذ في النوريه أنه قديم الأيام في صورة شيخ أبيض الرأس واللحية، وهذا تشبيه وتجسيم مما يؤذن بأنه مؤلف، ومصنوع فكيف يتفق هذا مع ذاك؟ وإذا انتقلنا إلى صفات الله في التوراة على سبيل المثال نجد فيها أوصاف واحكام لا تليق بمقام الرب مثل "مالكم تقربون إلى كل عرجاء وعوراء أتراكم لو أهديتم ذلك إلى أصدقائكم ما قبلوه إلا صحيحاً؟ وفيها أتخذوا لي بساطاً من أبريشم دقيق الصنعة وخواناً من الخشب الشمشاد".

لذلك نجد الرازي أراد أن يخضع التوراة لنقد تفصيلي محاولاً في ذلك، أن يصل إلى المتناقضات الموجودة فيهن وهذا يبين إلى مدى كان إطلاع الرازي على الكتب السماوية إطلاعاً واسعاً وجاء دور المسيحية في النقد الموجه بين الرازي فقال "زعمت النصاري أن عيسى قديم مربوب"وأنه ذكر جئت لأتمم التورية ونسخ شرائعها، وبدل قوانينها وأحكامها وإن النصارى زعمت أنه أب وابن وروح قدس، لذلك يأخذ على المسيحية هنا عدة أقوال:

أولاً: القول بوجود قديم غير مخلوق، إلى جانب الله يؤدي إلى الشرك.

---

(1) أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة، مصدر سابق، قطعة رقم 8 س 8 وما بعدها.

ثانياً: أنه جاء لإتمام التوراة، والحقيقة أنه نسخ شرائعها وبدل أحكامها.

ثالثاً: أن الله ثالوث يتكون من أب، ابن، وروح القدس.

فالتناقض واضح في الفقرة الثانية، والخلف ظاهر في الثالثة والكفر بين في الفقرة الأولى.

ويواصل الرازي هجماته العنيفة فيما يراه من تناقضات، نذكر ما تدعيه المجوس عند زرهشت في باب أهرمن، وما ذكر ماني، في أن الكلمة أنفصلت من الأب، ومزقت الشياطين، وقتلت، وأن السماء من جلود الشياطين، وأن الرعد جرجرة العفاريت، وأن الزلزلة تحرك الشياطين تحت الأرض، وأن ماني رفع سايور الذي عمله له الشابركان في الجو وأخفاه حيناً هناك، فأورد الرازي هذه المحاولات التي ابتدعها المبتدعون في المجوسية، والمانية، وخلطها بما في الكتب السماوية وأثار الأنبياء، وأضافها إلى رسل الله المنزلين الطاهرين الذين هم براء من كل ذلك الأقاويل، وزعم أن هذا من رسومهم، وإحتج بذلك على النبوة.

ونجد الرازي لم يكتفي ينقد الأديان، وإنما رد على اعتراض قد يوجهه إليه الخصم وهو "إذا كانت الأديان على ما يذكر الرازي فيها تناقض فكيف تفسر تعلق، أغلبية الناس في المجتمع بها، وكيف تفسر إنتشار الأديان بحيث، لا نجد سوى أعداداً قليلة لم يعتنقوا ديناماً وكيف تفسر أيضاً قلة المتبعين للفلسفة، وأصحاب المشكلات العقلية مع أنها هي الحق من وجهة نظرك.

يرد الرازي على ذلك الاعتراض الموجه له من الخصم، بأن أهل الشرائح أخذوا الدين عن رؤسائهم بالتقليد، ودفعوا النظر والبحث عن الأصول، وشددو فيه، ونهوا عنه، وما ذكروه عن أسلافهم أن الجدل في الدين، والمراد فيه كفر، ومن عرض دينه للقياس لم يزل الدهر في القياس، ولا تتفكروا في الله بل تفكروا في خلقه، فالقدر سر الله، فلا تخوضوا فيه وإياكم والتعمق، فمن كان قبلكم هلك بالتعمق.

والرازي هنا يفسر استمراراً ظاهرة التدين بفكرة التقليد، فرجال الدين يتوارثون الدين، واحداً عن الآخر، وبحكم الوراثة والاستمرار يصبح الدين قوة ذات سلطان على النفوس والرازي يرجع التدين إلى عدة عوامل هامة هي:

أولاً: **التقليد**: في نشر المعتقدات، واستمرارها وهذا ما أهتم به جبريل تارد، وجوستاف لويون، وهم من الاجتماعيون المحدثون.

ثانياً: السلطة: نجد رجال الدين يتعلقون بالسلطان ويصبح لهم شأن عظيم في الدولة، مما يسمح لهم بفرض معتقداتهم على الناس قسراً إن لم يتيسر الإقناع.

ثالثاً: **المظاهر الخارجية**: وهي تبدو في القائمين بأمر الدين مما يثير الدهشة عند الفقراء من الناس، وعن طريق هؤلاء تنتشر العدوى في بقية طبقات المجتمع.

رابعاً: **طول المدة والتعود والاستمرار**: يؤدي إلى تحويل المعتقدات من أراء اعتنقت في وقت ما، إلى طبيعة وغريزة موجودة معهم ويذكر كتاب الفهرست لابن النديم، في بين رسائله رسالة في أن العادة تحولت إلى طبيعة(لخ).

ويستمر الرازي في الاحتجاج، والتناقض للدلالة على البطلان، كما فعل فيما يتصل بنقده للنبوة، فيتخذ من تناقض رجال الدين شاهداً على فساد أقوالهم ، وهنا يلجأ الرازي إلى نفس ما لجأ إليه ابن الروندي من الطعن في قيمة الرواية فيما يتصل بالأحاديث، والأخبار الدينية، وكأنه يتابع تيار، نقد "التواتر" الذي يقوم على الجزء الأكبر من الأخبار الدينية(بر).

ولو كان التواتر قائماً حقاً، لما تناقضت الأحاديث فيما بينها في مسائل رئيسية كخلق القرآن، ومسألة القدر.

ورغم الانتقادات التي وجهها إلى الأديان السماوية إلا أنه لا ينكرها، ولا سيما ذلك في جانبها الاخلاقي، حيث يقول:

"زم الهوى، وردعه واجب في كل رأي، عند كل عقل، وفي كل دين"(تر). فالأديان في جملتها هي أصل الحروب التي وقعت فيها الإنسانية من قديم، وعدو الفلسفة والعلم، وربما كانت مؤلفات أبقراط إقليدس أرسطو، أفلاطون، أنفع من الكتب المقدسة(بر).

---

(1) ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق ص 420

(2) المصدر السابق، ص 422

(3) الرازي: الطب الروحاني، مصدر سابق ص 31

(4) Kraus et pones, Encyc0 de L' islam. Fasciiv. P. 1136.

نقد الرازي الكتب المقدسة:

إنتقد الرازي الكتب المقدسة وحاول إبطالها، لما فيها من تناقضات وتشبيه، وتجسيم، مع مهاجمته إعجاز القرآن الكريم نظماً ومعنى، نفي القرآن الكريم آيات ظاهرها يدل، على التشبيه مثل قوله عز وجل:

قَالَ تَعَالَىٰ: قَالَ تَعَالَىٰ: □ □ □ □ □ (لخ)

قَالَ تَعَالَىٰ: □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ (بر) فالرازي حاول أن يضرب هذه الكتب بعضها ببعض، ثم يفصل في نقدها من جانبه، فهو ينقد اليهودية، وأثارها عن طريق المانوية، وذكر أن موسى عليه السلام كان من رسل الشياطين، من إهتم بذلك فليقرأسفر الأسفار (تر) الذي للمانيه، فإنه يطلع على عجائب من حديثهم عن اليهودية من لدن إبراهيم إلى زمان عيسى عليه السلام.

وينقد الرازي المسيحية بما ورد في القرآن من تحريف الإنجيل، ثم ينتقد القرآن على أساس ما ورد فيه مخالفاً لما في المسيحية واليهودية، وذكر أن القرأن يخالف ما عليه اليهود، والنصاري من قتل المسيح عليه السلام، لأن اليهود والنصارى يذكرون أن المسيح قتل وصلب والقرآن يذكر أنه لم يقتل ولم يصلب، وأن الله رفعه إليه، من هذا التناقض بين الكتب المقدسة، يؤدي إلى كذبها مادامت تدعي أنها تعود إلى مصدر إلهي واحد وأهم عناية وجهها الرازي إلى الكتب المقدسة، كانت المتصلة بالقرآن الكريم ويذكر والله تعجبنا من قولكم إن القرآن هو معجز، وهو مملوء بالتناقض ومن أساطير الأولين وهي خرافات، فهو يهاجم القرآن من ناحية النظم والتأليف، كما يهاجمه من ناحية المعنى.

فمن ناحية تأليف القرآن ونظمه يذكر "إنكم تدعون أن المعجزة قائمة موجودة وهي القرآن الكريم، ومن أنكر ذلك ياتي بمثله وذكر الرازي إن أردتم بمثله في

---

(1) سورة طه: آية 5

(2) سورة الحاقة: أية 6

(3) ابن النديم: الفهرست، مصدر سابق ص 470.

الوجود فعلينا أن نأتيكم بألف مثله من كلام البلغاء والفصحاء، والشعراء، وما هو أفضل منه ألفاظاً، وأشد إختصاراً في المعاني، وأبلغ في الأداء، والعبارات وأشكل سجعاً، وأن لم ترضوا بذلك، فإنا نطالبكم بالمثل الذي تطالبونه.

فالطعن في القرآن وإعجاز ينقسم إلى أقسام:

أولاً: من حيث الألفاظ: يرى الرازي أن في كتابات البلغاء ألفاظاً وعبارات أكثر طلاقة، أي السهولة وعدم التعقيد اللفظي، فهو يميل إلى التدقيق والبساطة أكثر ما يميل إلى التفخيم، وجمال اللفظ.

ثانياً: من حيث التراكيب: أي الأسلوب بالمعنى المعروف، فيأخذ عليه إسهابه، وتطويله، وتكراره، فهو لا يحب الأساليب المطولة ذات الفواصل المتكررة المعاني.

ثالثاً: من حيث القدرة: على الأداء أي الفصاحة لا يعجبه أسلوب الجاحظ، ويهاجمه من حيث البلاغة، والفصاحة أي القدرة على أداء المعنى المطلوب من أيسر طريق، فلقد كان هذا هو المثل الأعلى للبلاغة في ذلك العصر، خصوصاً بتأثر كتاب "الخطابة"لأرسطو وتأثر به من دراسات بلاغية.

رابعاً: من حيث الموسيقى اللفظية: ويقول إن في كلام الفصحاء ما هو أفضل منه سجعاً، أي من شأنه أن يكون أكثر موسيقية، وبذلك إما أن تكون الكلمات المجسوعة أقرب في تشابه حروفها الأخيرة، وهو لاحظ ذلك في القرآن الكريم، ومدى إعتماده على الحروف المتقاربة دون المتساوية في بعض الأسجاع حتى لا يشعر الفرد بأنه مقصود، ومن حيث المعنى نجد الرازي هاجم القرآن الكريم هجوماً عنيفاً ويتمثل ذلك في عدة أمور هامة:

أولاً: أن القرآن الكريم مملوء بأساطير الأولين، وأخذ ذلك من التوراة على القرآن، لأن الأقوال الأسطورية الموجودة في التوراة قد رددها القرآن، فهو الاخر مملوء بالأساطير التي هي خرافات.

ثانياً: أن القرآن الكريم فيه تناقض بين بعض أجزائه، وذلك متصل بمسألة التجسيم والتشبيه، وما يخالف هذا من نعت القرآن لله بأنه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ (لخ)

ثالثاً: أن القرآن الكريم لا توجد فيه فائدة لأن القرآن مملوء بالتناقض، وليس فيه فائدة، وهناك خصم يقول للرازي من ينكر إعجاز القرآن فليات بمثله، ويرد عليه الرازي ائتونا بمثل ما في كتب أصول الهندسة، والمجسطي وغيرها، فنحن نطالبكم والمثل الذي تزعمون أنا لا نقدر عليه، فليس في وسع إنسان أن يأتي تماماً بما أتى به أخر، وكأن الحجة نفسها ترتد على الخصم مرة ثانية والرازي يريد أن يبين أن هذه الكتب العلمية لها فائدة كبيرة ونفع أكثر من القرآن والكتب الدينية عامة، لأن الكتب العلمية فيها فائدة للناس في معاشهم، وأحوال دنياهم، بينما القرآن لا يفيد شيئاً، لذلك إذا كان ولابد وأن نتحدث عن الإعجاز والحجة فالأولى أن ينظرا إلى الكتب النافعة مثل كتب المنطق، الطب الذي فيه مصلحة الأبدان، والمجسطي الذي يؤدي إلى معرفة حركات الكواكب والإفلاك، وهذه الكتب أولى بالحجة مما لا يفيد نفعاً، ولا ضراً، ولا يكشف مستوراً، وهو يعني في ذلك القرآن العظيم.

ويذكر الرازي أن الفلاسفة العلماء وصلو إلى هذه العلوم عن طريق إلهام وإستنباط، وأنهم استغنوا عن الأنبياء عليهم السلام وقال أرشدنا عما عملته ائمتكم من التفرقة بين المسوم والأغذية، وأفعال العقاقير، وأيضاً علوم حركات الأفلاك وغير ذلك، وإذا ذكرتم أن كل هذه العلوم أصلها من ائمتنا فهذه دعوى غير صحيحة، شاعت بين عوام الناس وخواصهم.

ويرد عليه أبا حاتم ويقول أن هذه الكتب من رسوم الحمكاء الصادقين المؤيدين من الله، وليس ائمتهم فيها إلا عارية، وهذه الأسماء التي نسبت هذه الكتب إليها مثل جالينوس، أبقراط وبطليموس هي أسماء كنى بها عن أسماء الحكماء الذين وضعوا هذه الكتب وكانت مبنية على الحكمة الصحيحة، والأصول المنتظمة.

لذلك أراد الرازي أن يبين في نقده للقرآن من حيث المعنى أن فيه فوائد تتصل بأحوال الناس ومعاشهم، وعارضها بما في كتب العلماء والحكماء من فوائد أعظم وأكبر.

---

(1) سورة الشورى: آية 11

وللرازي كتاباً في الإلهيات، ذكر فيه أن الشر في الوجود أكثر من الخير، وإنك إذا قايست بين راحة الإنسان ولذته في مدة راحته، مع ما يصيبه من الآلم، نجد أن وجوده نقمه وشر عظيم طلب به وهذا رأي يشبه تماماً ما ذكره "بيرن" عد ساعات سرورك وعد أيامك الخوالي من البلبال، فأيا ما كنت، اعترف بأن هناك ما هو احسن من هو ان لا توجد[لخ].

تعقيب: يمكن القول أني لا استطيع أن أجزم على موقف الرازي من العناية الإلهية لأنني أراه مؤمن بوجود خالق حكيم، وله كتاب في ذلك "أن للإنسان خالقاً حكيماً[بر]" ولكن لا استطيع أن أؤكد هل الرازي دخل العناية الإلهية ضمن حكمة الله أم كان يخرجها بحسبان الحكمة، والتي لا تقتضي بالضرورة العناية، والناقضات التي وجهها إلى النبوة والأديان كانت عبارة عن شطحان فكر راودته، نتيجة إطلاعه الغزير على الكتب السماوية، وهذا ما يجعل من الرازي شخصية فكرية فريدة جعلته من أجر المفكرين في الإنسانية.

❖❖❖

(1) شوبنهور: عبد الرحمن بدوي طبعة ثانية، القاهرة، 1945 ص 208

(2) بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، 46.

openkandl.com

obeikandl.com